

الانتصارات المذهلة لعلم

النفس الحديث

(٦)

الارادة وف الحياة

منندى
اقرأ الثقافي

تأليف : بيير داکو
ترجمة : رعد اسکندر
ارکان بیثون



دار التربية

www.iqra.ahlamontada.com

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

الاتصارات المذهلة لعلم

النفس الحديث

(٦)

الأرادة وفن الحياة

تأليف : بيير داكو

ترجمة : رعد اسكندر

اركان بيثون

دار التربية

بغداد

حقوق الطبع محفوظة
بغداد ١٩٨٨

الفصل الاول

الارادة

يبدو تعريف كلمة الارادة للوهلة الاولى بسيطاً . واذا دُعيت يوماً لامسية فاني اوجه السؤال التالي «هل اذهب أم لا اذهب»؟ ومن ثم اوازن ما هو لصالح أو لما هو ضد ثم اقدر نعم أو لا . ويكون هذا القرار فعل الارادة .

كان القرار الطواعي يخضع لعاملين اساسيين :

أ- الظروف الخارجية (الدعوة) .

ب- الظروف الداخلية (المزاج، حالة التعب، الحالة النفسية، طريقة رؤية الاشياء، الحاجة للتسلية، الخوف من الناس، الخ) .

مثال آخر: اذا كان ينبغي علي زيارة طبيب الاسنان، ستكون طريقتي في الارادة مختلفة حسب معاناتي أولاً، اذا كنت خائفاً أو لا: اذا كنت عصبي أولاً .

نرى مسبقاً ان فعل الارادة يستند الى ميولنا ونوازعنا وامزجتنا واهتماماتنا الخ . نحن «نريد»، هذا مفهوم، لكن هناك شيئاً دائماً في داخلنا الذي يؤثر على قرارنا . . . دون طلب لرأينا، وهذا يعيد أنفأ الاباطيل الانسانية الى نسب معقولة اكثر .

فضلاً عن ذلك وفي الكثير من الافعال «الطوعية» هناك الكثير من الاسباب التي لا نجروء على البوح بها! انها روح المنافسة والرغبة وتجاوز الآخرين أو السيطرة عليهم! أو انها حاجات لان

نكون على حق أو برهنة على أننا «أقوياء» أو الكشف عن أننا قادرين على الفوز أو أننا نملك قوة في الطبع .
حينذاك . هل توجد ارادات حقيقية ومزيفة؟ هل هناك أصل وصورة؟ نعم . وهذا ما سأبحثه .

كيف نتصور الارادة؟

يعني ان يكون الشخص إرادي بالنسبة للكثير جمع القوى
وشد الفكين ، تقطيب الحاجبين والاندفاع الى الحواجز .
والحال انه لا يوجد شيء أكثر زيفاً من هذا المفهوم .
أوبالاحرى ، ان الارادة مرئية من خلال سلسلة من الشعارات
تعتبر ذات قيمة لمرة واحدة فقط . ما هي الشعارات هذه؟
- ان يريد الشخص؟ انها القدرة على القول على الرغم من
الجميع .

- عندما أريد ، أريد!

- من يُريد ، يستطيع ! (انه الشعار الاساسي ، ونقوله باستمرار
الى المرضى نفسياً دون ان ندري ما نقول . هذا الشعار كان سبباً
في الكثير من الآلام) .

- عندما قررت ، قررت . ان افضل الاسباب لا تحيدني على
تبديل رأيي !

- الارادة؟ انها تجاوز العقبات .
- الارادة؟ انها التمسك بالافكار بصلابة ثابتة .
- اذا قلت كلا ، يعني كلا .
- يجب ان نريد بقوة . . الخ . . الخ .
- والحال ان جميع هذه السلوكيات هي ظواهر داخلية للارادة .
- وهذه الظواهر تشبه الى حد ما الارادة الحقيقية كما تشبه صفيحة من الزنك بسبيكة من الذهب .

متى نتصرف بشكل إرادي أو غير إرادي؟

- ١- التصرف إرادياً يعني التصرف لاسباب مدركة .
- اذا قلنا «انا اريد» يبدو اعتيادياً اننا نعرف لماذا . اذا عرفنا عن وعي وباقصى ما يكون ، لماذا نختار أو نقدر هذا أو ذاك . عندما نقول «أريد» فانه يتوجب وعن وعي تعديد الاسباب التي من اجلها اخترنا . لكن في اغلب الاوقات ونسبة ٧ الى ١٠ يمكن ان نشهد الحوار التالي :
- أنا اريده .

- لماذا؟

- لانني اريده فقط .

يدعي هؤلاء الاشخاص انهم يتصرفون بإرادة في حين انه ينبغي عليهم اعطاء الاسباب المدركة لفعل الارادة . المقصود هنا

اذن ارادة لا واعية وليس بالارادة لناخذ على سبيل المثال شخص مدفوع لقرار عن غريزة وعن حاجة لان يكون عنده حق وعن هيمنة، الخ. هل يتصرف إرادياً كما يوحي مظهره؟ انه يتصرف عن غير وعي. كذلك لا يتبادر الى ذهن الشخص ان يكون الغضب طوعاً أو ان يتهيب الانفعالي إرادياً.

٢- التصرف بشكل لا ارادي يعني ان يكون

الشخص مدفوعاً من قبل اشياء مخيفة لا واعية.

هكذا يقول الملايين من الناس «أريد» في حين يبقى عملهم غير إرادي حتى اذا اعتقدوا العكس! لماذا؟ لان اللاوعي عندهم هو اقوى من الوعي (في الاندفاعات والعقد النفسية، مثلاً). ان هؤلاء الاشخاص لا يريدون شيئاً ابداً. ان لا وعيهم هو الذي يدفعهم للارادة.

مثال: هذا رجل اتخذ قراراً خطيراً منذ بضعة سنوات. لقد أدى القسم: «أريد ان اصبح محامياً كبيراً!» وانكب على الدراسة وبذل جهوداً كبيرة الى درجة الانهاك ومن دون ان يسمع اي شيء انكمش على نفسه واتجه نحو هذا الهدف.

لنفترض الآن انه مصاب بحالات صعبة من الشعور بالنقص وبما انه يشعر بالنقص فانه يعاني بلا وعي من حاجة بان يصبح

متفوقاً . وفي هذه الحالة هل قام بأفعال إرادية؟ (اعني بذلك إرادية عن وعي؟) قليلاً! ليس هو الذي قرر ان يصبح محامياً لكن مشاعر النقص الموجودة عنده هي التي قادته للبحث عن التفوق . لكن هذا ما يجهله على الأرجح . وهو مقتنع بانه انجز الملايين من الاعمال الارادية وفي الحقيقة انه أطاع دوافع داخلية . إن نتيجة هذه الارادة المزيفة يمكن ان تكون حسنة جداً على الصعيد الفردي والاجتماعي ومع ذلك فانها ليست ناتجة عن إرادة حقيقية .

يوجد هناك دائماً وفي كل فعل ارادي مزيج من الوعي واللاوعي .
لدينا :

١ - تزداد الارادة عندما تزداد الاسباب الواعية . ويعرف الشخص حينذاك ماذا يريد ولماذا . إذن المعرفة المعمقة للنفس ضرورية .

٢ - تتناقض الارادة عندما تزداد الدوافع اللاواعية . ونلاحظ ايضاً ان الكثير من الاشخاص يتمكنون هكذا من اعطاء صفات خارجية لارادة قوية ، في حين انها غير موجودة وسوف نراها فيما بعد .

الارادة العقلانية : صفة انسانية تكمن في توقع النتائج لبعض الافعال .

مثلاً ، يعرف الانسان ان الاستخدام المفرط للكحول يجعله يعاني في وقت عاجل أو آجل . وعند معرفة هذا يمكنه من اجراء مقارنة بين الصحة في الوقت الحاضر والمرض في المستقبل . وباختصار فان الشخص الذي يستحق هذه التسمية هو قادر على ان يقيم ميزاناً لافعاله ويبررها ويحللها .

والحال انني أكرر ان اسبابنا الواعية ممزوجة بقوانا الداخلية المظلمة (غرائزنا ، دوافعنا ، انفعالياتنا ، مزاجنا ، حاجاتنا ، الخ) . اذا استندت الارادة الى اسباب واعية فانها تخضع لمعرفتنا لانفسنا .

لنأخذ الحالة التالية ولنوجه لبعض الاشخاص سؤالاً اعتيادي جداً .

- لماذا قررت الامتناع عن التدخين ؟

وبصفة عامة تكون لدينا الاجوبة التالية والتي تُعد متكلفة ولا تشير ابداً الى إرادة حقيقية .

- لان التدخين يضر بالصحة (الحقيقة وعلى الأرجح انه لا يعرف شيئاً انما يكرر ما نقول له) .

- لانها عادة سيئة حقاً (لماذا؟ سيكون بدون شك غير قادر على الرؤية بعيداً) .

- لان التدخين يكلف جداً .

- لانني أريد ان ابرهن على ارادتي (اذن انه غير متأكد من امتلاكه للارادة) .

- قلت كلا، يعني كلا (لا يعرف لماذا، والمقصود هنا اصرار وليس ارادة حتى اذا كانت نتيجة هذا القرار جيدة) .
- لان زوجتي لا تريد ان أدخن (ربما هو هذا الجواب الصحيح) .

نفترض الآن ان طبيباً قرر الامتناع عن التدخين . لماذا؟ لانه على اطلاع اكثر من غيره ويستطيع ان يحلل ويعمق عواقب التدخين . ويقارن صحته الحالية مع مخاطر الامراض التي قد يصاب بها . إذن فان هذا الطبيب يمتلك من الاسباب الواعية اكثر من الآخرين . ويمكن ان نقول ان عنده إرادة اكثر من غيره .
كذلك نفترض ان محلاً نفسياً يتخذ قراراً . هذا المحلل النفسي يعرف نفسه وبشكل كبير . ونجح في تحليل لواعيه بالتفصيل . إذن انه قادر على نزع اسباب إرادته كما وانه يمتلك عوامل وبلا حدود تسمح له باتخاذ قرار بوضوح وبمعرفة بالسبب . ستكون ارادته بالطبع اكبر حجماً واكثر وضوحاً .

- الارادة الاخلاقية - انها الارادة التي تقودنا الى خير كل انسان
انه الشعور ان ترجيح عقله هو أفضل من الخضوع لميوله

الغريزية، لاسيما وان اكثر انسان في العالم وعيا يمتلك من الميول والغرائز، الخ .

اذن لكي نتملك إرادة اخلاقية كاملة، ينبغي ان يكون ذهننا صافياً

ان علم النفس الحديث ينزع الى عدم اعتبار الارادة حقيقة ما عدا التي تبحث عن الخير والافضل كما ان البحث عن الملذات والشهوات والراحة لا تدخل ضمن الارادة .

ارادة القوة - بشكل عام فان هذا الضرب من الارادة يدفع الى الهيمنة على نظائره . انه ميل ليصبح اكثر قوة دون حذر من استعمال الوسائل المستخدمة . اذن فان هذه الارادة ضارة وهي غير اعتيادية وترتكز على الشعور بالنقص والعجز وعلى حاجة «عمل ما هو افضل من الغير وان يصبح الاكثر والاكثر قوة»، الخ . ان المربين العصبيين الذين يسيطرون بهيمنة ينتسبون الى هذه الحالة . ويفرضون «إرادتهم» بما انهم مقتنعين بالتصرف «من اجل خير» الطفل وعلى الصعيد الاجتماعي كانت المانيا الهتلرية نموذجاً لهذا النوع من الارادة .

وهناك نوع آخر اكثر تطرفاً: عندما يبغى الفرد ان تكون له قيمة اكثر فاكثر ويكسب السيطرة على النفس ويحقق اعمال حسنة ، الخ : ليست هذه الارادة متكاملة؟ بالطبع لا! انها اساس الانانية . نبحت عما هو لخيرنا ونحقق العمل ونطمح الى القيمة .

مثال : يكرس فنان نفسه كلياً الى فنه وينجزه بارادة «فظة» . هل انها إرادة حقيقية؟ كلا . يحاول هذا الرجل ان يحقق شيئاً ويبحث عن قوته . الخ .

لكن هذه الارادة ستكون أفضل اذا قدر ان لديه رسالة ينبغي عليه ان يؤديها تجاه الآخرين . حينذاك يتجه هذا الشخص ولظروف معينة نحو صالح الآخرين .

ان ارادة القوة (السيئة!) شائعة جداً . وان اغلبية الناس يخضعون لهذا النوع من الارادة خاصة في مجتمع تتكاثر فيه ظواهر مثل (الرغبة في المنافسة ، الحاجة الى تجاوز الآخرين ، والهيمنة ، الخ . .) .

وبدلاً من الارادة تكون غالباً عُصاب وضعف أو عجز .
المفهوم الكلاسيكي للارادة - يقسم العمل الارادي كلاسيكياً الى اربعة مراحل :

١ - التصور: حضور العمل المبتغى انجازه الى الذهن (مثلاً : أتصور انني مدعو الى حفلة رقص) .

٢ - التشاور: الذي خلاله نتفحص الاسباب لجانب الحسنات والسيئات (هل اذهب الى هذه الحفلة لهذا السبب؟ ألا اذهب لسبب آخر محدد؟) .

٣- القرار: انه الحكم الذي ينهي التشاور: نقبل أو نرفض .
٤- التنفيذ : يخضع التنفيذ تقريباً لسرعة القرار. ومن بين هذه النقاط الاربع ستكون النقطة الثالثة (القرار) عمل الارادة .
وهذا لطيف نظرياً، لكن في الحياة اليومية؟ يكتب شارلس بلوندل بهذا الصدد: انه يرغب حقيقة بنشر اعلان في الصحف لدعوة الذين اختاروا مهنتهم أو قرروا رحلة ومن الذين يرغبون في ان يكونوا مشهورين!

في الحقيقة، تحصل مشاورات عديدة من خلال بحث داخلي وهناك على ما يبدو حصيلة من الاسباب اللاواعية! ومن خلال الغرائز والامزجة والمخاوف والقلق والعقد والعُصاب . . الخ كما صادفتنا من قبل . ويستند القرار النهائي قبل كل شيء الى الاستقبال الداخلي الذي نؤديه للفكرة . واذا قبل شخص خجول جداً دعوة فان أول رد فعل سيكون صدمة انفعالية . كيف يستطيع اتخاذ القرار «طوعياً؟ ان يقول نعم أولاً، انها حالته من الخجل وهذه تدفعه بشكل كبير، وبعد؟ . .

وفضلاً عن ذلك فان الفعل الطوعي لا ينتهي الا في النقطة الرابعة (التنفيذ) . ان إتخاذ القرار بصدد شيء لا يعني تنفيذه! وبين القرار والتنفيذ يدخل التردد والشكوك والاجترارات التي تثير

مشاورات جديدة وقرارات جديدة ومن الشائع جداً ان يؤخذ القرار لكن الشخص لا ينفذ هذا القرار ابداً . انها الحالة الاعتيادية للمدخنين والمدمنين على الكحول والذين «يقدر» تغيير سلوكهم . انها ايضاً حقيقة الكثير من المرضى النفسيين (المنهكين نفسياً ، مثلاً) انهم «يريدون» عمل عدة اشياء ويقدر»ون ان يكون ذلك «غداً» انجاز هذا العمل أوداك . وعلى اية حال ، فانهم لا يتقلون ابداً الى مرحلة التنفيذ . ان العمل الارادي محصور في مسار معين وهذا يعني انه ليس لهذا العمل من مكان .

اخيراً ، هل الارادة موجودة؟ لنفترض اننا في الشارع . والتقينا بشخص يدفع عربة ثقيلة . بالنظر اليه لا يبقى اي شخص عادي غير مبالٍ ، انها حالة غير ممكنة . وعند رؤية هذا المسن التعيس ستتولد لدينا مشاعر عديدة . ولنفترض انها تأتي هكذا (على الرغم من ان الحقيقة اكثر تعقيداً من هذا!) .

الشعور الاول : الشفقة : يتصرف المشاهد بقوله ايها التعس ! في سن كهذه ! ألا يوجد حتى حيوان ليساعده ! الخ .

الشعور الثاني : « أود مساعدته ، لماذا؟ لانه واجبي ولانه شيء طبيعي . لانني لا أحتمل هذا المشهد لانني لا أتخيل نفسي مكانه ، الخ . . »

الشعور الثالث : خجل ، خوف لما يمكن ان يقال وخوف من ان يكون مضحكاً الخ . . .

ثم :

ثانياً

او بالاحرى

أولاً

يدير الناظر ظهره
ويهرب اخلاقياً ولا
يتحرك ويشعر أنه غير
مسرور ويخجل من نفسه
ومن جُبنه (الذي هو
على الاغلب الخوف
والخجل أو
الحماقة »

ييدي الناظر عنفاً
ويعبر الشارع
ويساعد المسن .
ويكون إما
مسروراً أو فخوراً .
لقد انجز عملاً
جليلاً وحقق
انتصاراً على
نفسه .

ونجيز القول إذن ان الشخص في الحالة الاولى كان ذو إرادة وفي الحالة الثانية «جباناً» هل هذا صحيح؟ نرى ان التردد في القرارات تتسبب عن حالات داخلية (شعور بالنقص، خجل، طريقة في رؤية الاشياء، اتجاه معنوي، شفقة، تضامن، الخ...).

ويمكن ان نقول ان الارادة الحقيقية في الجوهر ليست لها علاقة في كل هذا. لكن المقصود هو مجموعة من ردود الفعل المعقدة ممزوجة الواحدة بالآخرى. وتحدث هذه الارتدادات على الرغم منا وتتهيج بداخلنا من دون ان نكون سبباً في ذلك. من الذي سيتغلب؟

... ببساطة انه الارتداد الاكثر قوة وسيكون ذلك اذن النفي البسيط للارادة كما نسمع عنه اعتيادياً.

والآن لنرى مشاهد آخر يترصد هذا المسن بدون صراع داخلي وبدون تردد وبدون اندفاع انفعالي وخجل وتفاخر يعبر هذا الشارع ويدفع العربة.

لم يبذل هذا الجهد اي ليقرر فعله هذا. لقد تقرر هذا في داخله عفويّاً. وانه يفعل هذا ببساطة وعفوية متكاملتين. من المؤكد ان لهذا الرجل من اليسر الذهني اكثر مما للآخرين. هل

توجب عليه ان يطلق ارادته؟ كلا . لانه أولاً لم يفكر في شيء .
اذن . . . هل خضع ايضاً الى ارتدادات اكثر تمامية من الآخرين؟
ما هي الارادة اذن؟ على اية حال انكب الفلاسفة وعلماء
النفس لقرون طويلة دون ان يصلوا الى تعريف لها؟ هل هي
موجودة حقاً أو اننا نأخذ بالوهم كحقيقة؟ يقال «أريد» طبعاً لا
تقولها بغية ترجمة ارتدادات اصبحت واعية . ما هو دورنا اذن في
هذه الحالة؟ المقصود هنا هورؤية ارتداداتنا بوضوح . والقدرة على
القول: «لقد اردت هذا وقررت ما هي ردود الفعل التي دفعتني
الى هذه الخطوة؟ من اين تأتي هذه الردود ولماذا . ما هي لعبتي
الداخلية غير الطوعية التي تسبب هذا الفعل الذي اتصوره طوعياً؟
وها نحن نعود ثانية من جديد الى المعرفة التي ينبغي ان نلّم
بها ألا وهي معرفة انفسنا . . .

هل تفترض الارادة جهداً أو انقباضاً أو توتراً؟

يكون الجواب في الحس المشترك : نعم . وبصورة عامة
نعتقد ان الارادة امتداد لجهد ما كما يُعتقد ايضاً انه ليس من ارادة
بدون جهد ولا سيما اننا سنرى ان الارادة التي تتطلب جهداً
ليست بالارادة العليا .

التلميذ الاول

موهوب جداً وقوي ذهنياً
وحيوية جيدة . لا ينبغي
عليه ان يؤدي جهداً .
يتغلب على المشاكل . يركز
بسهولة ويفهم فوراً بدون
اية صعوبة ويصل بسهولة
الى نهاية دراسته دون تعب
مبالغ فيه .

التلميذ الثاني

موهوب قليلاً . مُتعب ذهنياً ، نقص في
الحيوية ، تقدم بطيء . ينبغي عليه بذل
جهود كثيرة . لا يتوصل الى تركيز ذهنه
على الرغم من كل شيء يستمر وهو متقبض
« يشدّ على إرادته » . يصل الى نهاية
المشكلة وينجح شيئاً فشيئاً .

من يمتلك الارادة الحقيقية؟ التلميذ الاول أم التلميذ الثاني؟
في الحس المشترك ، الطالب الثاني . لماذا؟ لانه يبذل جهوداً .
لانه يواصل على الرغم من كل شيء . لماذا يستمر؟ هذا ما
يتوجب معرفته في بادئ الامر يمكن ان يكون بسبب: رغبة في
المنافسة والخوف من ان يكون أقل من غيره وخوف من الاحتقار

والرغبة بانتهاء دراسته بشرف حتى لا تصبح التضحيات التي قدمها
بالديه عديمة الفائدة وخوفاً من والديه، الخ .

ويما انه يبذل جهودا كبيرة لتجاوز الصعوبات ، فاننا نعجب
به . وهو أمر طبيعي اذا كانت اسبابه شريفة ومعنوياته عالية . لكن
هذا لا يبرهن ابداً ان المقصود هنا هو إرادة حقيقية وحتى اذا كانت
معنوياته عالية جداً فالمقصود هنا هو إرادة ناقصة بسبب نقص في
القوة ويسبب الانقباض .

والتلميذ الاول؟ وصل الى الهدف دون جهد ويمتلك القدرة
التي تعطيه اليسر الطبيعي . ويحتفظ بطاقته وكذلك بالتناغم مع
نفسه . والحال ان الارادة هي فعل يتطابق مع العقل الواعي
والانسجام . ان الذي لا يبذل جهدا يبرهن على الكمال في
عمله . انه الذي يمتلك الارادة الحقيقية لان الارادة هي اتقان
وقوة . إذن فهي تتطلب للظهور شروط كاملة . .
مثال آخر

كاتب اولاً

يكتب من دون جهد وبمقدرة وهو مبسم دون اي انقباض
ويعمل بسرعة وبانتظام دون تردد أو تعب . يعرف بوضوح هدفه

ويتجه نحوه بكل ذكائه وحيويته .

بعد حين من الزمن :

ثانياً

يصبح تعباً شيئاً فشيئاً ويواصل الكتابة وهو يسلك طريق
الارهاق بشكل بطيء . ويبدأ في الانقباض ويفقد «تسلسل
افكاره» وينبسط ثم يواصل وسيطر على تعب بـ «امانة جسمه»
ويركز ويعاند ويقاوم بتعب قبل ان يصل الى نهاية عمله (لاي
سبب كان) .

متى يمتلك هذا الكاتب الارادة الحقيقية؟

يملك الكاتب الارادة بنفس الدرجة التي يملكها الكاتب
الاول . وعندما تكون الارادة العليا عملاً عقلياً وواعياً حينذاك
يكون مليئاً بالحيوية واليسر والوضوح ويتصرف إرادياً وبشكل
طبيعي .

متى يفقد الارادة الحقيقية؟ متى تصبح هذه الارادة ناقصة؟

انه في النقطة الثانية التي يتطرق فيها الى الارادة الناقصة .
تتناقص طاقته وتتبع إرادته المسار نفسه . ينقبض ويعاند ويذهب
الى هدفه مع انا ناقصة بسبب التعب . وحينذاك ينبغي عليه ان
يدعو «كل ارادته» . . . وهذا هو البرهان الذي ينقصه . ويسقط في
صيغة ناقصة من الارادة .

وفي التطبيق العملي ، نعتقد ان الارادة تعني جهداً . وان الارادة لا تتدخل الا عندما ينبغي الانتصار والهيمنة والسيطرة والحصول على السلطة من دون الآخرين ، الخ ونعتقد ان الارادة مكرسة فقط لتجاوز الصعوبات .

وترتكز هذه الافكار على ملاحظات جزئية أو كاذبة . اذا توجب عليك ان تقوم بجهد فان هذا برهان على عدم الكمال . واذا توجب عليك ان تبذل جهداً مضنياً لرفع خمسين كيلو غرام فهذا يعني انك غير كامل في هذا المجال . وبالمقابل ، اذا قمت بهذه الاعمال بيسر فهذا يعني انك تمتلك قوة متلائمة مع مهمتك . وبالطبع فان الجهد عبارة عن علامة على الارادة . لكن ولمرة اخرى فالمقصود هنا هو شكل قاصر . ان الارادة العليا تركز على التوازن وعلى القوة : ولهذا السبب لا تتطلب هذه جهداً .

وعندما تصبح الارادة غير متكاملة ينبغي علينا ان نقوم «بجهود إرادية» .

طبعاً . . . هذا يغير قليلاً من التقاليد الشائعة . لكنني لا اتمكن من فعل اي شيء . هذا هو القانون البيولوجي وبساطة فانه منطقي وفضلاً عن ذلك فان الحقيقة هي أكثر جمالاً من الوهم . ألا يكون الشخص الواعي والواضح أكثر إنجازاً من الشخص الذي يخضع بشكل كلي تقريباً الى نهكه ولا وعيه؟

حتى في حالة قيامه بجهود تبدو وكأنها إرادة! . .

ما هي شروط الارادة الكاملة؟

سنتناول هذا الموضوع فيما بعد لكن قبل كل شيء أود ان أكرر ما يلي : ان بذل مجهود يشير الى عجز في الارادة . ان الارادة الكاملة تتطلب ان يذهب الشخص بكامله نحو الهدف مع ادراكه الطبيعي وعقله وذكائه . واذا تواجدت ميول متناقضة فينا ، فاننا لا نتوجه الى هدفنا الا من خلال جزء من انفسنا . . كما لا نتوصل الى عين الهدف .

ان الميول المتناقضة تقطع اتحاد شخصيتنا وتجزئ إرادتنا وستمتلك حينذاك إرادات جزئية منقبضة ومتعارضة الواحدة مع الاخرى وتتجه الى اهداف نحن لا نراها الا بشكل جزئي .
وها هو مثال الام التي تخلص لابنائها وتتفانى في عملها .
وتقوم هذه المرأة بجهود فضيعة للوصول الى نهاية العمل . هل تمتلك هذه الأم الارادة؟ نعم ، بما انها «تريد الوصول» ، لكن هل هذه هي الارادة الحقيقية؟ كلا . انها ارادات مجزأة ومتشعبة بسبب التعب . ومهما كان الجمال الاخلاقي لعمل هذه الام ، فان ارادتها الحقيقية تكمن اذن في استرجاع وبشكل كاف القوة لكي لا تبذل جهداً فيما بعد .

ينبغي ان تكون الارادة كاللباقة : غير مرئية .

بماذا تجعلك تفكر كلمة «الارادة»؟

أ- في الصلابة: يكون الشخص عازماً على الوصول الى مبتغاه ويستخدم بعض الوسائل لكننا غالباً ما نخلط بين الصلابة (التي هي قوة متوازنة) والعناد (الذي هو عجز وضعف).

ب- في السيطرة على النفس: انها كفاءة وقدرة في السيطرة على المشاعر والغرائز الخ. وينبغي ايضاً معرفة فيما اذا كانت هذه السيطرة حقيقية أم مزيفة (انظر الى هذا التعبير في الفهرست).

ج- في روح القرار: ينبغي ان يكون سريعاً بدون تردد مبالغ فيه أو دون اجترار ذهني وينبغي ايضاً ان تكون روح هذا القرار حقيقية ويبدو الاندفاع مثلاً انه يوضح قرارات سريعة جداً وعلى اية حال لا تكون عنده إرادة كما سنشاهدها من بعد.

د- روح المبادرة: انها القابلية على البدء في عمل جديد.

إذن تتطلب كل هذه الصفات شروطاً. ما هي هذه الشروط؟ لفهمها بشكل أفضل اقتحج تناول الموضوع من الوجه الآخر وتفحص ما يمكن ان يعيق الارادة؟

نحن نعرف المثل الشائع «من يريد، يستطيع!» والاغلبية مقتنعون تقريباً بحقيقة هذا القول لانه لم يكن في مقدورهم ابداً تقديم اثباتات اخرى. ولم يسبق لهم ان بحثوا عنها الا في التجارب السطحية.

وعلى اية حال يحدث ان يسقط هؤلاء الاشخاص مرضى باي شكل كان وتبرز صعوبات عديدة وخاصة في الامراض النفسية. وتبدأ الظروف الاعتيادية جداً بطلب جهود بطولية. انها اذن اللحظة التي تنادي بـ «من يريد»، يستطيع! ويطبق فيما بعد.

ولنأخذ هنا حالة الاشخاص الذين يصلون فجأة الى النوراستانيا. فالمرض يجبر الشخص على الشك وعلى الاجترار ذهنيًا وعلى التردد مع قلق وعلى عدم امتلاك الشجاعة وعدم القدرة على التصرف. ويحلم هذا الشخص آنذاك: «اذا أردت شيئاً، أستطيع عمله، وهذا ما قيل لي من قبل دوماً» ومن جانب آخر، لا ينفك اصداقائه عن تكرار هذا! وها هو الشخص ينطلق حاملاً في رأسه هذا المثل السائد ويكرره مع نفسه طوال اليوم. ماذا يحدث؟ الشعار لا يرد. ولقد كرر هذا الشخص بأمانة وصدق: أريد «يعني اذن أستطيع» ولا شيء يسير على ما يرام! ويكرس الشخص الجهود وينقبض ويبحث من دون أمل عن «الامانة» بوسيلة «ارادته». وهذا يكون بدون نتيجة ايجابية الا الاصابة بنهك نفسي متفاقم.

حينذاك يكون المريض مضطرباً ويتساءل فيما اذا كان هذا المثل الدارج اضحوكة ابتدعها الناس الطبيعيين. وهنا يؤثر المريض الحقيقة بنفسه. ويتأكد المريض من شيء. عندما

كانت صحته جيدة كان يمتلك الارادة كأي شخص آخر. الآن ،
 ها هو يصبح غير قادر على امتلاك الارادة. ولا تكون هذه الارادة
 اذن الا اثراً بسيطاً؟ وتتطلب الارادة ظروفاً معينة للظهور؟

ظروف الارادة

تخضع الارادة الى قوانين كأي ظاهرة انسانية . وسأتطرق اذن
 الى ما يعيق أو الى ما يلغي الارادة . وهكذا سنرى ان هناك العديد
 من الارادات المزيفة على الرغم من امتلاكها كل جوانب
 الحقيقة . ألا يعطي البغل الواقف في مكانه دون حركة مظهراً
 للارادة لانه يقول «لا» بصلاية ثابتة؟ وألا يتصرف العديد من
 الاشخاص بنفس الطريقة معتقدين انهم «اراديون»؟

لنرى ذلك في الجدول التالي مع الشروحات :

وما يسمح بالارادة	ما يعيق الارادة
التوازن بين الاندفاع المتحمس والكبح	الاندفاع المتحمس المبالغ فيه الكبت المبالغ فيه

وما يسمح بالارادة	ما يعيق الارادة
<p>الحيوية والطاقة الحقيقية ، التوازن والسيطرة على النفس . الاهتمام الوجداني</p>	<p>فقدان الطاقة والطاقات المزيفة (تعب ، هيجان ، عصب ، انفعالية ، الخ) . اللامبالاة المرضية</p>

النزق المبالغ فيه :

ما هو النزق ؟ انه انطلاق لا يمكن مقاومته والذي يدفع الشخص لانجاز عمل دون ان يفكر فيه أو يبرره ويكون الاندفاع المتحمس دائماً انفجارياً . ويتطور ويكون الشخص غير قادر على كبح أو توجيه حياته بطريقة متوازنة .

ويكون منقاداً لرغباته الاساسية ولآليته اللاواعية ووجدانيته غير المنتظمة . ويتصرف غالباً بطريقة «محتدة» . وعندما يكون رئيساً فانه يأمر بشكل متكرر وجاف وباحتقار . وبالطبع فانه يعد رئيساً قائداً «للرجال» و«إرادي» . ولا يتردد ابداً ويتقدم الى الامام بدون توقف ولا يقبل على الخطأ (ما عدا عندما يرغب في ان يعطي انطباعاً بالكمال) ، ويبدو اذن الاندفاع «ان يريد» . في الواقع ، انه

غير قادر على السيطرة على اعماله وانه يمتلك القليل من الارادة على ان يكون ضعيفاً. ان الاندفاعي شبيه بالمتهيج أو الثائر الذي يبدو فعالاً دون ان يظهر عليه ذلك انه قليل الشأن. (لقد تمت دراسة الهيجان في «التعب»)

يكون الاندفاع إذن في عمل مبالغ فيه. ويندفع الشخص باستمرار. ويبدو انه مليء بالارادة والقوة الذهنية. لكنه يعرف جيداً في قرارة نفسه (إذا صادف وتجراً في الغوص فيها.)، انه غير قادر على الارادة الحقيقية. وخلف روح القرار المزيفة يختفي العجز والقلق والانفعالية.

انه مدمن على العمل. ويستمر بشكل مستقيم وغالباً ما يكون شرس وغير قادر على الرجوع الى نقطة البداية ليغير بالطبع طريقه. انه ليس بالارادي: انه مُسَيَّر.

هناك نوع آخر من الشخص الاندفاعي: الاندفاعي لوقت متأخر. إذ لا يكون رد الفعل عنده فورياً. يجتر وتتراكم الوقائع في داخله كالذخيرة الخطرة. وأخيراً تتضخم الظروف بشكل غير قياسي وتستقطب كل انتباهه ويصعد ضغطه الداخلي الى أقصى حد. وتهيج الاندفاعي ويثور ويتفجر وعلى الاغلب فانه يبحث عن الانفجار بنفسه بغية ان يُسقط ضغطه النفسي! اذن يستطيع هو ايضاً ان يعطي انطباعاً بارادة قد تتحول الى فعل. لكن لا

شيء من هذا القبيل . ويمكن رصده بسهولة : يرتجف ويصبح عصبياً ويكون صوته متقطعاً . ولا يكون سيداً ابداً ، لا على نفسه ولا على اقواله .

ليس هناك من إرادة اذن عند الاندفاعيين لكن طاقة كامنة للقوى الغريزية واللاواعية . وماذا يقال عن الاندفاعيين الذين يعانون من الشعور بالنقص الذي يعزز من «إرادتهم» في الهيمنة والقوة ! .

الافراط في الكبت

يرتكز الكبت على كبح حركة أو فكرة . ويسمح الكبت في ابطاء العمل المصمم عليه بغية التفكير فيه أو تعطيله . وبقي الشخص الاعتيادي هكذا «قدمه غير ثابتة على الارض» قبل ان ينتقل الى العمل الارادي . لكن ينبغي ان يكون هذا التردد قصيراً .

ولا شيء من هذا القبيل في الكبت ، إذ يستمر التوقف طويلاً ويتردد الشخص طويلاً ويجتر ويشكك ويعود باستمرار عن قراراته . ويمكن ان يؤدي الكبت ايضاً الى توقف كامل للعمل المصمم عليه .

وينكشف الكاتب امام العمل لانه غير قادر على تجاوز التخوف . ولا تكون الارادة غائبة بل محبوسة . مثلاً ، «يرغب»

خجول باظهار قرار لكنه «لا يستطيع». لان مكابحه الداخلية في انجاز عمل ما هي اقوى من رغبته في ان يريد وهويشبه السيارة التي تحاول ان تسير في الوقت الذي تكون فيه الفرامل مثدودة . ينتظر الكاتب ان تقرر الحوادث لاجله أو ان يفك شخص آخر الحصار عنه . ان هذا الغيب شائع جداً في الخجل والكآبة ومشاعر النقص والضعف الجسمي والعُصابات والعقد النفسية، الخ .

وعلى العكس - فان الارادة هي القابلية على التصرف عن وعي وان التصرف يتطلب بالطبع جزءاً من الاندفاع . لكننا شاهدنا نزقاً «محظاً» قبل قليل يشبه دوارة هواء في الريح حتى اذا بدا وكأنه يتصرف بطاقة إرادية . إذن ، ان العمل يتطلب ايضاً كبح اندفاعاته (كبته) . يتطلب العمل الاعتيادي توازناً بين الاندفاع والكبت . واذا انقطع هذا التوازن لاي سبب كان فاننا نقع في الافراط في الكبت أو في الاندفاع ويؤدي ذلك أوتوماتيكياً الى نقص في الارادة .

النقص في الطاقة

لقد درسنا بشكل مفصل التعب ونتائجه :
النهك والهيجان ويمكن ان نتصور جيداً ان التعب يسبب نقص

في الارادة . ولا يمكن ان تعبر شخصية ضعيفة عن نفسها من خلال إرادة ضعيفة . وفي الهيجان؟ يمكن ان نقارنه مع الاندفاع المتحمس والمبالغ فيه ، إذ ينجز المتهيج اعمالاً عديدة دون توقف ومن دون ان يشعر بتعبه . كما انه يعطي انطباعاً بأنه يمتلك الكثير من الطاقة في الوقت الذي لا يمتلك منها شيئاً تقريباً . وبما انه يخضع الى جهاز عصبي غير منتظم فان المتهيج يغير مكانه كثيراً ويظهر أنذاك طاقة مزيفة تترجم عن إرادة مزيفة . وكما هو الحال عند الاندفاعي فان اعمال المتهيج يمكن ان تظهر إرادية على أقصى حد بل مصطنعة .

ويسبب النقص في الارادة الانفعالية والعُصاب ، الخ . ويفقد العصبيون والانفعاليون ذاتياً وضوحهم ، ووسائلهم ويخضعون الى ارباكات عصبية عديدة وذلك كما شاهدناها في الطب النفسي - البدني » .

إذ تعمل قشرتهم الدماغية بشكل سيء ويكونوا هدفًا لاعاصير حقيقية داخلية تدفع فيها الوجدانية الثمن واذا اتخذوا قراراً هل سيكون ذلك «إرادياً»؟ كلا سيكونون مدفوعين من قبل اندفاعات ناجمة عن الانفعالية .

وكذلك فان النهك النفسي يسبب احياناً اعاجيب لارادة مزيفة .

وهناك اشخاص متعبون يستمرون على العمل رغم كل شيء
ويكونون مدفوعين من قبل دوافع داخلية . ويتجاوز هؤلاء
الاشخاص تعبهم باستمرار ويأجلون راحتهم الى وقت متأخر
وبمراقبتنا لهم يمكننا الاعتقاد «بانتصار الارادة» ونتخيل ان لديهم
طاقة وإرادة عجيبة .

ويجمع الادب والسينما والحياة اليومية نماذج من هذا النوع .
ولقد ذكرت حالة الام المنهكة التي تستقتل في عملها وسجلت
ملاحظاتني بشأن النتائج التي تكون احياناً سامية معنوياً . لكن
هذا لا يغير شيئاً بالنسبة الى هذا السؤال : عند تجاوزهم لتعبهم
باستمرار، هل هناك إرادة حقيقية؟ الجواب : كلا . ليس هناك من
إرادة لكن انقباض حول مهمة معطاة بدءاً بفكرة التي قد تتطور
وتصبح استحواذاً (استحواذ الواجب والاخلاص والعمل
والحصول على المال والنجاح في العمل والخوف من الاحتقار،
الخ).

وعلى العكس - تكمن قيمة الانسان قبل كل شيء في حيويته
وتوازنه وتكمن ايضاً في السيطرة التي يملكها على نفسه . لا
يمكن ان نتصور انساناً إرادياً دون سيطرة تسمح له بتفحص
المشاكل التي تواجهه بهدوء وبوضوح .

النقص في الاهتمام

يتطلب كل قرار انساني كمية معينة من الاهتمام . كما يتطلب القرار ان نهتم به بطريقة ما ولا سيما ان هناك العديد من الاشخاص الذين لا يتوصلون (على الرغم من كل رغبتهم) الى الاحساس بالاهمية تجاه أي شيء كان . ويجب البحث عن الاسباب بدقة متناهية . ان فقدان هذا الاهتمام يسبب اللامبالاة والكسل والبطء . وعدم انجاز العمل بشكل تام ، الخ والاسباب الشائعة لهذا هي : البناء الجسدي ، الوراثة ، العمل غير المنتظم للغدد الصماء ، الضعف الدماغي والعصابات ، الخ .

على العكس - اهتمام كبير ملحق بتوازن يؤدي ذاتياً الى الارادة . ان النقص في الاهتمام هو اذن «مرض إرادة» حقيقي الذي ينبغي ان يتم تناوله ومعالجته كالاتي :

وما يسمح بالارادة	ما يعيق الارادة
المرونة وانسباط الذهن والرؤيا البعيدة . والانفراج الذهني .	التصلب الذهني العناد الاصرار الافكار الثابتة الانقباض العدواني الحماقة
الانسجام او التناغم بين الوعي واللاوعي .	عندما يعمل اللاوعي لغير صالح الوعي

ما يعيق الارادة	وما يسمح بالارادة
كل ما يجزء الشخصية أو يخرقها . كل ما يعيق التحليل الذهني .	كل ما يوحد ويوازن الشخصية كل ما يسمح بالتحليل الذهني

التصلب الذهني

نجد الاشخاص الثابتين والراسخين كالصخرة في هذه الفئة .
وليس نادراً أن نجد التصلب الذهني عند الاشخاص الكتومين .
هذه إذن وبشكل شائع حالة الافراد الخجولين أو المصابين
بالشعور بالنقص . إذ انهم يترددون طويلاً قبل ان ينفذوا . لكن
حال اتخاذ القرار بشأن الفعل فانهم يثبتون على ذلك ويتصرفون
بقوة لا تعرف الشفقة . ويقال انهم يتشبثون بكلاّب الأمن . . .
إذن هناك صلابة في قراراتهم التي قد تشبه البأس الذهني . وفي
الحقيقة ، فالمقصود هو ضعف شديد . . ولا يتحرر الضعيف ابداً
من نفسه وهو سجين قرار يتشبث به . لماذا؟ لان هذا القرار كلفه
كثيراً من الطاقة ، انه غير قادر على العودة عن قراره من اجل ما

قرره . وفضلاً عن ذلك ، فان الضعيف بحاجة الى قرار حاسم !
وهذا يمنحه الامان بما انه يحد من الشكوك المتعبة ! وهكذا فانه
يثبت على موقف صارم وغالباً ما يصنع من هذا مجداً ويعلن :
« انا؟ انا لا اراجع عن قراري ابداً مهما كانت الاسباب التي
تعترضني . . . » . ويصبح غير قادر على افراج تصلبه ويأخذها مأخذ
الارادة . ويستند حينذاك الى « مبادئ » بغية ان يبررو بشكل
أفضل طبعه العنيد .

والكثير من التسليطين هم في هذه الحالة . كما شاهدنا ذلك
غالباً ويسبب هؤلاء اضراراً تربوية بتحطيمهم إرادة طفلهم .

الاصرار والانقباض والعناد والافكار الثابتة

انها شوائب أسوأ من التصلب ! ان الشخص الصلب يستطيع
ان يفكر ويفسر سلوكه حتى من خلال مبادئ عبثية (لكن التي
تبدوله منطقية) ولا شيء من هذا القبيل لدى الشخص العنيد
والذي يصبر ويتشبث بافكاره . ولا يفكرون بشيء قط وعلى الرغم
من انهم يبقون على وجهات نظرهم « عبر الرياح والمد والجزر » .
فان مسألة الارادة لا تخصهم حسب ولا يعللون تصرفهم قط :

انهم غير قادرين على هذا . وكما سبق وان قلت ، فانهم مصابين بالتيتانوس الذهني ، وبالنسبة الى شخص من هذا النوع فالموضوع ليس تعليل قرار . ويعلن : « . . . انا اريد لانني اريد . اقرر لانني اقرر ولا يجدي النقاش !

ويطلب منه احياناً من حوله : « . . . لكن لماذا أنت عنيد هكذا ؟ لا يرد شيئاً لانه من المستحيل عليه ان يعطي جواباً اي كان . حينذاك ماذا تريدون ان يفعل ؟ يثبت اكثر ويتشبث بمواقفه . ويقتصر على موقف في غاية التسلطية محاولا الهيمنة » من خلال ارادته » على كل الذين يشعر انهم اعلى منه . اما بالنسبة الى الآخرين ، ماذا يتمكنون ان يفعلوا امام هذا الجدار الاسمتي إلا اذا حاولوا المسير الى جانبه أو ان يثوروا أو يتنازلوا مع كل النتائج التي يفترضها هذا الوضع ؟

مرونة الذهن

نلاحظ فوراً ان مرونة الذهن تتعارض مع كل اشكال التصلب الذهني كما ان اتساع المدارك يعيق ظهور اي من هذه السلوكيات الثابتة . اذن فمن الضروري ان نجد اسباب التصلب الذهني والعناد ، الخ . وتنجم هذه العيوب احياناً عن الحماسة لكن في اغلب الاوقات عن الشعور بالعجز والنقص وبالحرمان ويمكن ان يكون نقص في امتلاك المعارف : فمن المنطقي الى حد ما ان

يتصلب شخص بشأن بعض الاحاسيس التي يملكها تجاه الحقيقة. ان اتساع افق الرؤيا ضروري جداً للارادة الاعتيادية . وقبل كل شيء لان هذا يسهل الادراك الواعي باعلى درجاته ثم لانه يفهم ان كل الحقائق الجزئية لها هدف واحد هو الحقيقة النهائية . وسيتم انقاذ العديد من الاشياء اذا ادرك كل واحد اننا نستطيع ان نكون على حق دون ان يكون الآخر على خطأ .

عندما يعمل اللاوعي في غير صالح الوعي

لا يكون الشخص الذي يتهيج فقط من خلال اللاوعي انساناً بل مأكنة . ان الارادة هي قابلية عالية ويجب ان تتركز اذن على شخص متفوق وصاف ونرى ان الارادة الحقيقية نادرة في تيار الحياة اليومية ؛ أوفي الوجود ايضاً ! وهناك الكثير من الناس الذين يقضون حياتهم كلها دون ان ينجزوا عملاً واحداً عن رغبة حقيقية مع تكرارهم «انا اريد» الى درجة ارهاق السامعين . وهنا ينبغي ان نفكر من جديد بالعصابات وبالعقد النفسية وبالمخاوف وبالتقلق وبالتعويض وتجعل هذه الامراض من الفرد ان يتصرف من خلال الانفعالية المزيفة كلياً . ولا يتجه الانسان نحو الهدف الا مع جزء بسيط من نفسه . وهذا الجزء الذي يقول «اريد» هو غالباً الجزء المريض !

للتناول من جديد حالة تسلطي . يقول «أريد» من اجل ان

يسيطر على الآخرين . لماذا؟ من اجل ان يلتذ بالهيمنة؟ ابداً . لكن بغية ان يتشبث بوهم المقدرة والقوة . وهذا اذن جزءه المريض (ضعفه) الذي يجبره على ان يريد . ويكون هذا وبشدة احياناً سبباً في تعاسة الآخرين . ان هذا الشخص ملاحق من كل الجوانب ويجد نفسه دوماً تحت توتر ويشعر ان اي تواء في ارادته - الانقباضية سيكون له سقطة في ضعفه الاساسي .

وفضلاً عن ذلك ، فان الصراعات الداخلية تعيق التحليل الذهني الذي هو «الهضم الذهني» لكافة احداث الحياة ، ولقد رأينا عند دراستنا لجانيه بان بعض الظروف تبقى غير «مهضومة» بشكل صحيح من قبل الدماغ كما هو الحال بالضبط بالنسبة لوجبة الغداء التي «تبقى في المعدة» مسببة دوارة وسوء هضم ، إذن ما هي الوجبات الذهنية غير «المهضومة بشكل صحيح» ؟ انها كل ما يلاحق الفرد في اللاوعي : اذن كافة الانحرافات النفسية وكافة الانفعالات المزيفة .

ان الوصول الى هذه القدرة الفائقة التي هي الارادة تتطلب اذن ان تروض هذه الانفعالات المزيفة . انها مهمة علم النفس . ونتوصل الى ما يلي :

ما هو مزيف	ما هو حقيقي
من يريد،	من يستطيع،
يستطيع	يريد
ماذا يعني	
بذلك؟	

الارادة هي اللياقة

ان الارادة ليست بالقابلية الخاصة بل تستند الى عدة عوامل بدنية وعقلية وهي ناجمة عن التوازن لمجموع المراكز الدماغية . وتظهر الارادة وتختفي وتتغير حسب تقلب الشخصية . نعرف ان الطاقة الحقيقية المتوازنة الواضحة والمتناغمة تنجم عن الارادة الحقيقية الهادئة غير المنظورة القوية المستمرة . وتنجم الطاقة الكاذبة ونقص الطاقة والانقباض والعُصاب والتعب والهيجان والعناد والاندفاع والانحرافات النفسية عن القوة الكاذبة أو النقص في الارادة .

اذن ستكون الارادة مسألة صحية؟ قبل كل شيء، نعم ! لكن «الصحة» يجب ان تؤخذ في المعنى الاكثر عمومية . وأكرران الارادة تتطلب ان نتوجه كلياً الى الهدف مع حد أدنى من الجهد . واذا توجب علينا ان نقوم «بجهود إرادية» لنحطم العادات القديمة

فسوف لن نواجه العمل الا بجزء من انفسنا . وهذه ليست بالارادة الحقيقية .

ان الرجل الذي يمتلك قوة هادئة يتصرف ذاتياً لان التصرف هو صفة خاصة بالانسان . واذا كان اكثر من ذلك اي واضح ومتحرر من التمزقات الداخلية فهذا يعني انه يمتلك الارادة وليس بوسعه بعد هذا ان يبحث عنها شاداً قبضتيه . وبدون صعوبة تجيب الارادة فوراً على ندائه . لماذا؟ لان «هذا يريد ان يحدث فقط في داخله . ويكفي مواجهة عمل لنمتلك الامكانية على انجازه من دون جهد كبير . واذا كانت القاطرة في حالة جيدة تولد القوة فان الشخص الذي يعمل جسمه بطريقة صحيحة يولد الارادة . ان زرع الارادة يعني الوصول الى القوة والتوازن والذكاء والوضوح ولا تعد المسألة إذن بعد مسألة «إرادة» كما نسمع عنها بشكل عام لكن قوة اخلاقية سامية مبنية على عقل هادىء ومتفوق .

ان الارادة المزيفة كالشجرة النحيلة التي تتيسس من جذورها والارادة الحقيقية هي كشجرة البلوط الفتية القوية والمرنة . لا ينبغي ان نقول : «انها مسألة ارادة» لكنها مسألة قوة واتساع مدارك الفكر . . »

الارادة تَعْلَم وتَعْلَم ثانية وتثقف

كما يقول بودون «تفترض الارادة حزمة مربوطة بشكل جيد من

النزعات القوية». وتتطلب ان تتوجه قوانا المتحررة معاً نحو الاتجاه عينه. إن الارادة نشاط هادىء ينجم غالباً عن التحرر من النفس. وهي تسيطر على النفس ولها نفوذ على العالم الخارجي، فالمقصود إذن هو الحد من كل ما يمكن ان يشتم «الانا».

الحد مما يقلق الحيوية

ان الحيوية الاعتيادية هي شرط أولي للارادة الحقيقية. ولا يمكن ان يكون وجود للحن موسيقى لموزارت بدون آلة البيانو المنسقة بشكل جيد وليس هناك من إرادة متفوقة من دون جسم متناغم! ان موضوع الدكتور جيليرروبان معروف جداً «ليس هناك من كسالى بل هناك مرضى». ولا يوجد كسالى إلا الالباء والتربويون والاطباء الذين لا يبحثون عن اسباب الشعور بالنقص الذين يحزنون له» وهذا مفهوم... نبحث عما يصحح نواقص الارادة (الكسل والبطء والتردد والاندفاع الخ) قبل ايجاد السبب الجوهري لهذه العيوب.

الحد مما يقلق النفس

لا زالت المسألة أكبر من ذلك. وكما قلت، فالمقصود هو تطوير وتجميع الطاقة الذهنية الى نقطة مثالية. وتظهر حينذاك إرادة متفوقة حكيمة وهادئة. ان يجد الشخص ثانية طاقته

المتوازنة فهذا يعني ان يتحرر مما في داخله من شوائب التي تعيق الوضوح وهذا بالطبع صعب جداً وعملياً لا يمكن ان تتحقق بمفردها . وينبغي ان تتم الدعوة لدراسات نفسية معمقة على الصعيد العملي .

مثال : يعيق الكبت أو العقدة النفسية عمل الارادة الحقيقية . وتتحد اغلبية القرارات بسبب هذه التبلورات اللاواعية ويجهل الفرد وجودها وكل ما يعرفه انه لا ينجز الا الاعمال التي فات أو انها التي تتفجر بين يديه ويقضي حياته كلها في صدام مع حواجزه الذاتية . وإذا حاول الفرد ان يرى بنفسه انحرافاته النفسية فانه لا يستطيع ان يفعل هذا إلا من خلال هذه الانحرافات نفسها وهذا واضح والمثال الذي نحن بصدده ساري المفعول بالنسبة لاغلبية انواع العجز النفسي التي تمزق وتزيف الشخصية .

الى جانب المساعدات المهمة التي يقدمها علم النفس المعمق ، ما هي الوسائل الفورية؟ يمكن ان نعتقد مع ماسون اورسيل : اننا لا نولد مع ارادتنا بل اننا نكتسبها «بالممارسة» . ونصل الى نوع من التناقض : بغية التوصل الى الارادة الحقيقية ينبغي اتباع ذلك بجهود متواصلة وموجهة بشكل صحيح .

ان هذه الجهود الارادية ليست يالارادة لكنها تسمح بالوصول اليها بالتمرس . كذلك يتوصل الراقص الى اليسر الكامل والى

السيطرة بفضل سلسلة من الجهود المكثفة والتي تنزع الى هذا الهدف .

ان هذه الجهود المبذولة ليست للرقص بل انها تؤثر عليه في النهاية .

والمقصود هنا اذن اتباع خطوات وينبغي :

أ- الالمام بالحالة البدنية والعقلية .

ب- تفهمها باستمرار .

ج- وانطلاقاً من هذا، التمرن على اعمال تدريبية حسب الامكانيات وتكرارها على قدر المستطاع .

وقد يساعد كثيراً الايحاء الذاتي . واذكر ان الايحاء ينشأ على حمل فكرة الى الذهن . وتصبح هذه الفكرة لاواعية وتدفع بالفرد لتحقيق بعض الاعمال ذاتياً .

وتحمل لنا التربية افكاراً وتصبح هذه الافكار غالباً لاواعية وترغمنا على التصرف . والمقصود اذن هو الكشف عن هذه الافكار للفحص . هل هي جيدة أم سيئة؟ وفضلاً عن ذلك، فان ممارسة الايحاء الذاتي يسمح لنا على حمل افكار اخرى لنا قادمة منا والتي ينتج عنها اعمالاً شخصية أكثر وعياً .

ان التدريب على الانتباه ضروري . وبدلاً من تشتيت الذهن،

ينبغي ان يتعلم على «التمسك ذهنيًا» بمهمة. لا سيّما وان هذا التثنت الذهني هو نصيب الكثير من الاشخاص! وينبغي ان يتحدد الدماغ بالشيء الذي يُراد منه انجازه دون إفساح المجال للشروء. ويقصد هنا ايضاً التركيز الواعي. لكن انتبه! لقد درسنا التركيز. ومن المؤكد ان لا تصل تمارين التركيز الى مرحلة الانهالك او الفكرة الثابتة. كما ينبغي ان لا تكون طويلة ولا تنجز باندفاع كبير إذ يتوجب قطع هذه التمرينات بفترات من الراحة والتي تدعى «بعطلة الذهن».

ولا يمكن إنجاز العديد من تمارين التركيز لوحدها. ان يكون المرء واعياً لنفسه فهذا يكون نتيجة تحليل نفسي معمّق يعمل على حمل الاحداث الراكدة من اللاوعي الى الوعي وهكذا يجد علم النفس الانحرافات الداخلية التي تحبس الشخصية وتعيق الارادة.

لكن هناك اشياء كثيرة تعرقل الوعي بالنفس، لننظر الى ما حولنا كم من العادات المستهجنة، عادات مستهجنة في الكلام والحركات والايماءات. يمكن ان تكون هنا ايضاً التمارين مفيدة جداً. وتكون كل هذه العادات المستهجنة على الاغلب لاواعية وتتوصل التمارين الى القضاء عليها وذلك بتحويلها الى عادات واعية.

ان التدريب على ادراك كافة مظاهر جسم الشخص مهم جداً . ومن الضروري ان يُحس الانسان او يشعر بحركاته . كم من الحركات الذاتية نُؤديها خلال نهار واحد؟ مئات او الآلاف . ومنها فتح الباب وعمل أزرار السترة وشغل سيكارة وتحريك الرأس للموافقة أو للنفي ، وأخذ قلم وتحريك رماد سيكارة وفتح نافذة الخ .

ان التمرين الجيد ينصب على إدراك كامل لمئات من الحركات الآلية . وينبغي التمرن على الشعور باننا نفعل هذا أو ذاك . وهذا يعني ان يشعر المرء وهو يفتح الباب بذراعيه ويده . والشعور بأقصى حد باننا نأخذ شيء والشعور بشكل واعٍ عند تحريك رماد السيكارة والشعور باننا نُؤدي هذه الحركة أو تلك في الفضاء .

ولا يستطيع ان اعطي إلا الخطوط العامة جداً . إذ ان التدريب بدفعة واحدة يتطلب التوجيه . لكن اي نتيجة! على اية حال لنحاول . إذا تحدثت الى شخص ما فيجب ان تدرك جيداً انك تحرك رأسك . وحاول ان تشعر بإيماءات وجهك وتقطيب الحاجبين والعادات المستهجنة للفم ورفع الكتفين ويجب ان تكون واعياً بانك تضغط علي فكيك كما يجب ان تكون مدركاً لما تفعله من حركة لهذه الذراع او تلك أو انك تضع رجلك

الواحدة فوق الاخرى، الخ حاول ان تشعر بكل هذا الى آخر عصب في اعضائك.

هل المقصود هو السيطرة «إرادياً» على الحركات والعبادات المستهجنة والمضحكة؟ كلا، ابداً. المقصود هو ادراك الأمر على افضل وجه. واذا كان كل شيء على ما يرام فاننا نتأكد من: ان السيطرة على النفس تبدأ بالاستقرار ذاتياً. وتستفيد بعض انواع العجز (الخجل مثلاً) وبدرجة كبيرة من فهم الجسم. ولا يصح الجسم هو الذي يقود الشخص بل الشخص هو الذي يأمر الجسم

وتنجم السيطرة عن الاندفاعات بسرعة باداء بعض التمارين. ونحن نعرف ان الاندفاعي ليس بالارادي ابداً على الرغم من انه يعطي انطباعاً خارجياً يوحى بالارادة. ويتصرف كالانسان الآلي ويصرف طاقته هباءً. ويكون ادراكه لنفسه ضرورياً جداً له. وينبغي ان يتعلم الاحساس بحركاته «المستهجنة» لذراعيه ولرأسه ولجسمه. كما انه سيدرك «حميته» خلال المناقشات وسيرى ان المقصود هو غالباً الرغبة في ان يكون على حق والسيطرة على خصمه. ويدرك اذن من بعد ان هذا السلوك ناجم عن شعور بالنقص. الخ.

السيطرة على المواقف. ان «وعي الحركات» يمتد بسرعة الى

وعى اي موقف كان . ويصل الفرد الى سلوكيات متوازنة تنم عن عدم التأثر والمرونة . ونلاحظ ايضاً انه من خلال هذا التدريب فان الشخص لا يستमित ولا ينبغي ان يضغط على فكيه «للظهور» بعدم التأثر . وبالعكس فان عدم تأثره يصبح حركة لا إرادية من اليأس . واذا كنا عدوانيون تجاهه ، فان تدريبه يدفعه الى الاجابة من خلال موقف مدروس من دون سخط أو غضب بدون جدوى . ويؤدي الى الطبع الهادىء الحقيقي وليس الى التشنج . ويصبح الموقف يسيراً والكلام حكيماً وواضحاً .

هذا ليس الا نظرة عامة . وهناك تقنيات اخرى ومثالا على ذلك اليوغا التي سأحدث عنها فيما بعد . ويمثل كل شخص حالة خاصة واذا رغب شخص بالحصول على إرادة حقيقية دون امتلاك الدعم البدني والذهني فالمقصود قبل كل شيء ايجاد هذا الدعم من جديد ومن ثم تسيير الامور لحالها . ونفهم من هذا انه ينبغي على العُصابي في الدرجة الاولى ان يتخلص من عصابه ولا يستطيع ان يفعل هذا لمفرده إذ يجد نفسه مجبراً على استدعاء النفسانيين المتخصصين .

الارادة الحقيقية

ان الارادة كفاءة أو قدرة فائقة وغالباً ما نفعل منها صورة هزلية . وينبغي ان يوضع كل شيء موضع التنفيذ لتطوير هذا التفوق . ولا

يجب ان نعتقد ان الارادة محصورة على «نخبة ذهنية» . وهي ممكنة بالنسبة الى جميع الذين يفهمون العملية الآلية ويعملون على «تنظيف انفسهم من الداخل» وتدريبها على الاتحاد . ان الارادة الحقيقية لا تحدث الا بعد القضاء على كل ما ينجم عن الارادات المزيفة . ان الاتحاد الذهني وتجميع الانقسامات الداخلية اذن ضروري جداً وتصبح الارادة الحقيقية هكذا فعلاً طبيعية وسهلة ، كشرب قدح من الماء وتزداد القدرة إزاء العالم الخارجي وكذلك القابليات الذهنية . هكذا نريد ونحقق بسهولة كالحطاب الذي يمتلك عضلات قوية وفأس جيد ليقطع شجرة في الغابة .

تقنية بشرية عالية (اليوغا)

ان اليوغا لوسيلة رائعة للثقافة البشرية الشاملة . وتمارس اليوغا منذ قرون في الهند وكانت تشمل في البداية دروس جسمية ونفسية . وخلال الوقت انقسمت اليوغا الى انواع عديدة بحيث يعود كل نوع منها الى جانب خاص من الطبيعة الانسانية . وانا لا اهتم هنا الا باليوغا باعتبارها نظاماً للتطوير البدني والذهني . انها وسيلة ممتعة جداً وعملية جداً بالنسبة للغربيين ونتائجها واضحة

وجلية على الصحة والتوازن والوضوح وتتفوق على الثقافات البدنية الاوربية . وبعض اشكال اليوغا تعطي نتائج ذهنية جيدة جداً . وتتوصل هذه الصيغ الى ايقاظ قدراتنا الخفية وغير المستخدمة . وتدريب اليوغا الجسم : لان صفاء الذهن غير ممكن بدون انسجام أو تناغم جسمي . ان تمارين اليوغا تشمل مراكز الاعضاء المختلفة من خلال انقباضات والتواء العضلات والمفاصل . ولهذه التمارين تأثير كبير على العمل الوظيفي الجيد للغدد وعلى الدورة الدموية وعلى الشكل الجيد للعمود الفقري . ماهو مبدؤها الاساسي ؟ يوجد تضامن كامل بين جميع اجزاء الجسم . وهناك اتحاد مطلق بين ما هو بدني وذهني . واذا انقطع التوازن لجزء واحد من الجسم فان الجسم ككل يتأثر . لكن اذا حصل توازن للجسم ككل فيكون نصيب الجسم الصحة بمعناها الواسع . ويظهر التناغم والهدوء واليسر والارادة وسوف نجد هنا ثمانية المبادئ الاوربية للطب النفسي - البدني والذي درسناه من خلال هذا المؤلف .

وبعض الامراض هي تعبير عن ارباك نفسي تحول الى الاعضاء بواسطة الجهاز العصبي السمبثاوي وفضلاً عن ذلك فان علاقاتنا الوجدانية نقلها الى اطفالنا والى المجتمع ويصبح المجتمع هكذا رادع كبير لحالات فردية . واذا حطمت الفوضى بشكل مستمر صحة الاشخاص واذا لم

يجدوا شفاءً في علاج عضوي فانهم يبحثون من بعد عن شيء آخر. انه اساس الطب النفسي - البدني واليوغا اللذان يعملان على ترويض السلوك المتضرر للذهن .

وليس الامراض الخطيرة فقط هي التي تعيق القدرة الطبيعية للفرد بل كافة انواع العاهات الجسمية والذهنية . ويكفي تصور العصبيين والانفعاليين الخ . وتقضي تمارين اليوغا غالباً على العيوب الجزئية دون ان تتطلب جهوداً كبيرة . وتحمل الى الكثيرين أمل النجاة الحقيقي . وتكفي بعض التمارين التي تمارس لبضعة أشهر للقضاء على انعدام التوازن وتعطي السيطرة للشخصية كما ينبغي ان تمارس اليوغا لادراك التغيرات التي تحملها .

وتستند اليوغا التي سأحدث عنها الى عاملين : اوضاع الجسم والتنفس . لكن قبل تقديم هذه الصيغة (اتا - يوغا= يوغا الطاقة الجسمية) فهذه الخطوط الرئيسية لليوغا الملكية (راجا يوغا) التي تنتهي بها شيئاً فشيئاً الاشكال الاخرى من اليوغا .

تشمل دروس اليوغا الملكية ثمانية نقاط اساسية كلاسيكية .

١- التعفف (ياما) : انه الكبت والسيطرة على الرغبات .

٢- الانتظام : (نياما) : يوجه الذهن نحو وحدة جميع الاشياء .

٣- اوضاع الجسم (آساناس) : انها اوضاع خاصة بالجسم

سنراها فيما بعد وتساعد ايضاً في اساس التأمل .

- ٤- التنفس (پراناياما): انها احدى الدروس المهمة لليوغا والتي بدأت دراستها علمياً في الغرب .
- ٥- الانكماش (پراتيبھارا): لا ينبغي ان ترتبك الحواس ويزهد الشخص عن المشاعر الخارجية والوهمية .
- ٦- التركيز (دھارانا): يتوصل الذهن الى التركيز على نقطة محددة من دون اي جهد . يمكن ان يكون هدف التركيز على اي جزء كان من الجسم او الاخير بكامله .
- ٧- التأمل (ديانا): ويتبع هذا التركيز وهو «يستوعب» الشيء الذي نركز عليه ويتم الدخول هكذا الى جوهره الاصلي .
- ٨- التماثل (سامادھي): انه الاتحاد الشامل مع الشيء المتأمل فيه ، انه وحدة النفس البشرية مع المطلق . والمقصود هو مرحلة ذهنية متقدمة جداً .

اوضاع الجسم

يتحكم مبدأ مهم في هذا النوع من اليوغا: البطء والتناغم . ولا تكون اية حركة في اليوغا قط متقطعة أو سريعة . وهناك شرط مهم آخر: ينبغي ان تكون روح المنافسة غائبة تماماً . كما ينبغي ان يكون الشخص الذي يمارس اليوغا مشغولاً فقط بما يفعله . وينبغي ان يدرك عمله ولا شيء اكثر من هذا . يوجد اذن هنا عالم بين الثقافة البدنية في الغرب واليوغا . وفي بلادنا

نحن قلقين دوماً بشأن انجاح هذا التمرين بشكل افضل من الآخرين وتحقيق المكانة الاولى وان نكون الاقوى الخ .
ولا نتخيل انها لعبة التنس الغربية حيث ليس هناك من غالب أو مغلوب لكن فقط حُب لهذه الحركات الجميلة للجسم وحب لهذه اللعبة المتكاملة .

نرى اذن مسبقاً ان اليوغا بحد ذاتها نهاية أو نتيجة ! إن التحرر من عقلية المنافسة هي نتيجة التحرر من النفس . اذن، قبل الالتزام باي شيء في اليوغا، ينبغي ان يتحرر الذهن من كل شعور بالصراع وبالفحص وبالنجاح المرغوب فيه أو الاخفاق الملام عليه والشعور بالنقص وبالنجاح باي ثمن كان ومن المحاولة الاولى الخ . ان النجاح او فقدان وضع من اوضاع الجسم ليست له أهمية . ينبغي ان لا يكون الفرد ابداً في منافسة مع نفسه ولا يبدي قط اي غيظ او انزعاج اذا فشل في تمرين .
ان الجو الملائم لليوغا هو الهدوء والسكينة . والتربوي المتخصص في الرياضة الغربية يكتفي غالباً بالمواقف العسكرية ويقصد من هذا حينذاك «الترويض» والنزول عن الشخصية من جانب الطلبة . وبالعكس ، ففي اليوغا تبقى الشخصية مليئة ومتكاملة بشكل تدريجي . وبالنسبة الى التربوي المتخصص في اليوغا، لا ينبغي عليه ابداً الاعجاب أو القاء اللوم

لكن التأكد فقط فيما اذا كان التمرين ناجح اولاً . وعند تطبيق
اوضاع الجسم لا ينبغي الدخول ابداً في منافسة مع «خصم» كما
قلت ذلك . لكن ينبغي القضاء على الاعداء الداخليين . ان
هدف اليوغا هو ضبط النفس وليس السيطرة على العالم
الخارجي .

وتُعطي جميع الدروس عند الاسترخاء وينبغي ان ينتبه الطالب
الى ما يفعله وان لا يتساءل بقلق «عما يفكر مدرسه» ! يعطي
المعلم تعليمات محددة وليس اوامرا . وبهذه الطريقة لا يشعر
الطالب بالخطأ ابداً ولا ينتهي اي درس بخيبة أمل .

الاسترخاء

من المهم والممتع القدرة على الاسترخاء وبارادة في الحياة
اليومية وفي اليوغا فان الاسترخاء ضروري جداً لا سيما وان نوع
الحياة التي نعيشها اليوم تعرضنا الى توتر دائمي في العضلات .
وحتى خلال ساعات النوم ، هناك الكثير من الاشخاص الذين
يحتفظون بتوتر نصفي لعضلاتهم ويستهلكون بهذا جزء كبير من
طاقاتهم . إذ ينام هؤلاء الاشخاص لكنهم لا يرتاحون بما فيه
الكفاية ، ويكفي ملاحظة اغلبية الناس في الحياة العامة إذ انهم
في حالة توتر بدون انقطاع وفي حالة دفاع ايضاً . ويمكن
«متأهبين» ضد الهجمات الخيالية وضد الفشل الممكن وضد

«الآخرين» الخ . ان هذا التوتر المستمر هو بالطبع علامة على الضعف والخوف .

ان تعلم الاسترخاء له هدف : منح العضلات التوتر الطبيعي حسب العمل المبذول ومنح الانفراج الكامل الذي يسمح بالراحة الكاملة واللازمة خلال النوم . ان التدريب على الاسترخاء يهدىء الجهاز العصبي وينتهي بالسيطرة وبادراك النفس وفهمها . ان الاسترخاء ، يشتت التعب الناجم عن العمل وينبغي ان تكون المدة قصيرة أو طويلة حسب النتيجة المبتغاة .

ان التطبيق الجيد للاسترخاء يسمح ايضاً بتقليص الحساسية ازاء الالم . وينتظم التنفس ويتباطأ النبض وتتوقف حركات العضلات الارادية ويتناقص رد الفعل للمفصل الكروي للركبة او يختفي .

كما يختفي النشاط النفسي على جزء كبير . فضلاً عن ذلك فان الاسترخاء الوقائي هو جيد في الغالب ويمكن ان يكون هكذا في حالة من اللامبالاة امام الانفعالات القادمة من اشخاص معادين . الخ .

وهناك عدد معين من التقنيات الخاصة بالاسترخاء . ويمكن ممارسة اليوغا كالاتي :

- تغطية الارض بسجادة أو بغطاء أو بمرتبة سميكة .

- النوم على الظهر وترك الرأس يرتاح على مؤخرة الجمجمة ومد الجسم والرجلين ويكون الكفين والاصابع مسطحة على الارض.

- ارتخاء العضلات بشكل تدريجي والى أقصى درجاته والمراد هنا ان يترك الشخص نفسه ينقاد بسهولة الى هذه العملية وهذه هي النقطة الاكثر صعوبة والتي تتطلب وجود معلم . ويقترب هذا المنهج قليلاً من الايحاء الذاتي مع تيقظ اكثر للجسم . وينبغي عند التفكير به ارتخاء فروة الرأس والجبهة والجفون والمنخرين والفكين والاصابع والذراعين والقدمين .

ان التمرن على الاسترخاء سهل أو صعب حسب اختلاف الاشخاص . وبصورة عامة ، يسترخي طفل بسرعة وبشكل كامل وفي حالات اخرى يسترعي المعلم الانتباه حول حالة التوتر العضلي الى ان يدرك الطالب ذلك ويكون الاسترخاء بشكل تدريجي ويجب ان يشعر الشخص براحة تامة .

ويكون الذهن معلقاً ولا يرتبط الفكر بأي شيء ولا تمرأي صورة الى الدماغ وتكون الراحة كلية كما لا يدرك الشخص ابداً وجوده ويكون في حالة من الراحة المطلقة والتي من خلالها ترمم احتياط الطاقة فيه الخسائر الحاصلة في الجسم . وبشكل عام يبدأ الاسترخاء وينتهي بسلسلة من الاوضاع .

ما هي اوضاع الجسم في اليوغا

انها اوضاع خاصة بالجسم التي يجب ان تستغرق بعض الوقت . وكما سبق وان قلت فان هذه الاوضاع تتطلب حركات في ببطء تام . ويجب ان لا تظهر اي حركة مفاجئة أو متقطعة . وينبغي ان يكون اتخاذ وضع معين بشكل مستمر ومنسجم .

ويشمل كل وضع على ثلاث مراحل :

أ- اتخاذ الوضع .

ب- الحفاظ على وضع الجسم .

ج- العودة الى وضع الانطلاق .

ان البطء في اتخاذ وضع الجسم له اهمية كبيرة وفي الرياضة الغربية السريعة والمفاجئة يستلم الجسم ناتج الصدمة . ولا شيء من هذا القبيل في اليوغا .

وبالعكس فان القياس المتناغم للحركة يسمح بنوع من المساج للأعضاء الداخلية .

وينبغي ايجاد الايقاع المضبوط لكل تمرين . ولا ينبغي ان يظهر اللهاث لكن في البداية يكون من المحتم حدوثه ، وفي هذه الحالة يحدث الاسترخاء على الفور .

ان الهدف من هذه الصيغة من اليوغا (هاتا - يوغا) هو اذن السيطرة على الجسم وعلى الطاقات الحية . ان هذه التمارين تضمن توازن وظائف الاعضاء ويمكن ان تؤدي الى فعل إرادي على اية عضلة في الجسم . وفضلاً عن ذلك ، فكما اشرت فان هاتا - يوغا هي مرحلة اعداد لاشكال اخرى من اليوغا والتي تشمل على كشوفات روحية عالية .

ان الهدف من «آساناس» (اوضاع الجسم) هو اعادة تكييف الجسم والذهن بالكامل وهذه الاوضاع تمتلك فعل قوي على التحويل الغذائي . ولقد تم دراسة كل هذه الاوضاع بغية الحصول على حد أقصى من النتائج مع ادنى حد من استهلاك الطاقة . ان عدد اوضاع الجسم الممكنة تتراوح نظرياً ما بين ٨٥ x ١٠٠٠٠٠٠ ! و٨٤ من بين هذه الاوضاع مهمة جداً و٣٣ تؤدي الى نتائج مهمة واثنين منها عملية جداً بالنسبة للجميع . والكثير من اوضاع الجسم مشتركة مع تقنيات عملية التنفس .

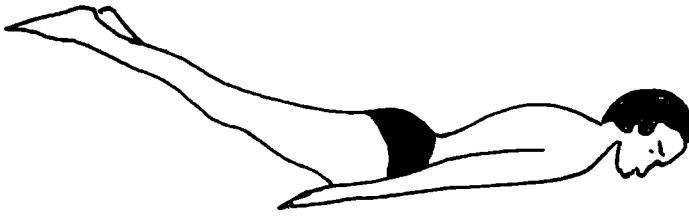
وعلى سبيل المثال اليك ايها القارئ العزيز بعض هذه
الايوضاع .



شكل رقم - ١ -

انه وضع «كوبرا» . يضطجع الشخص أرضاً على بطنه وتكون
اليدين مسطحتين تحت الكتفين ويجب ان ينهض الجسم بشكل
بطيء جداً الى ان يصبح الذراعين متوترين . يتم اتخاذ هذا

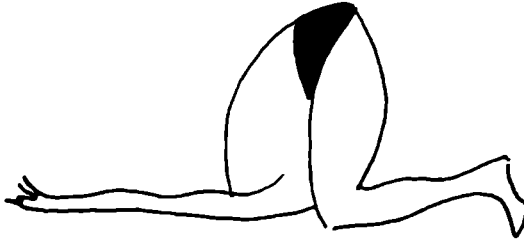
الوضع بالتنفس بحيث يكون الرأس مرفوعاً الى اقصى حد الى الخلف ويجب ان يبقى الورك باتصال مع الارض . ومن ثم ينبغي ان يعود الجسم الى وضع التمدد بشكل بطيء مع الزفير . ان وضعية كوبرا تقوي عضلات الظهر كما تقوي البطن . وهذا التمرين جيد عند وجود اضطرابات في الرحم والمبيض .



شكل رقم - ٢ -

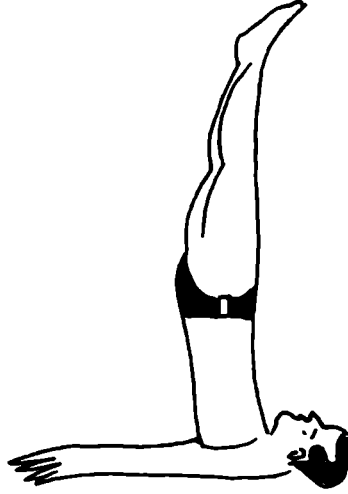
انه وضع «الجراد» . وهنا ايضاً يرقد الطالب على بطنه . وتكون الذراعان منبسطتين على طول الجسم وباطن الكتفين الى الاعلى كما تكون الساقان ملتصقتين . وهنا ايضاً يرفع الطالب رجليه الى اقصى ما يمكن وفي الوقت نفسه يتنفس .

كما يحافظ الطالب على الوضع لبضعة لحظات مع حبس تنفسه . ويعود ثانية الى الوضع الاعتيادي ويبطء مع الزفير. ونتائج هذا التمرين ممتازة بالنسبة للاحشاء والكليتين والألام القطنية .



شكل رقم ٢-٢-

يدعى هذا الوضع «بالمحراث» وهو يسبق الوضع المسمى بـ «العصا» وهو كالآتي :



شكل رقم ٤ -

يبقى هذا الوضع الذي يتخذ ببطء في البداية لبضعة لحظات . ويخفض الطالب من بعد الرجلين نحو الرأس . وتبقى الساقان متصلبتان . وتمر القدمان فوق الرأس ويحيطان على الارض بالضغط على ابهام القدمين . ومن ثم تشن الركبتين الى ان تمسان الارض لكلا الطرفين عند الاذنين . ونعود ثانية الى وضع نقطة البداية (مضطجع على الظهر) ببطء والبقاء لبضعة لحظات على وضع «العصا» .

ان هذا الوضع رائع حقاً بالنسبة للصحة ويضمن عمل وظيفي جيد للجسم . ويتردد عدة امراض معوية ويحافظ على ليونة «شابة» في العمود الفقري . ومع ذلك فانه موضوع للتضاد .



شكل رقم ٥ -

انه الوضع الذي يسمى بـ «الشجرة» وكما هو الحال بالنسبة
 لبقية الاوضاع ينبغي ان يجري هذا التمرين ببطء شديد ويعمل
 الطالب على زلق قدمه على طول ساقه المعاكس . وينبغي ان
 يكون الذراعان ممدودان . وعندما يصل القدم الركبة للساق الآخر
 يمسك الطالب كاحل القدم ويصعد حتى ثنية الفخذ ويتنصب من
 جديد ويضم اليدين ببطء .
 في البداية يكون هذا التمرين للتوازن وللتأمل ويفترض
 استرخاء كبير من اجل ان يطبق بشكله الملائم .

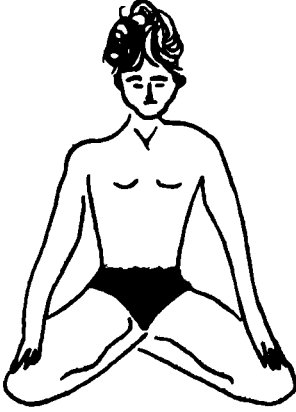
ها هي بعض الازضاع المهمة :
انه الوضع الخفي . وهو تمرين ممتاز
لممارسة التمارين التنفسية و تمارين التأمل .



شكل رقم - ٦ -

هذا الوضع يقال عنه الأسد
ويستخدم ايضاً في التمارين التنفسية .

انه الوضع المتكامل . ويتطلب توجيه
وتدريب طويل الى حد ما .



شكل رقم - ٧ -

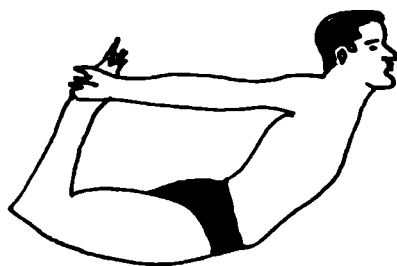


شكل رقم - ٨ -

انه وضع اللوتس وهو تمرين صعب .
وتتطلب الحركات مرونة عالية للوركين والركبتين .
ولا يمكن تطبيق تمارين اخرى وبشكل تدريجي حسب صعوبتها .



مشكل رقم - ٩ -



مشكل رقم - ١٠ -

انه وضع القوس وهو ممتاز لالتهاب
النسيج الخلوي للفخذين وللورك.

السيطرة على التنفس (براياناما)

انها احدى اهم دروس اليوغا . ويقصد بكلمة (برانانا) «تقنية التنفس» المعروفة جداً . ومنذ وقت طويل عرفت الهند ان هناك علاقة بين التنفس والحالات الذهنية والانفعالية . ويكون التنفس متأثراً باستمرار بالحالة العصبية وتحمل عواقب وبهذا نقصد الانفعالية . وتبين لنا هذا الحياة اليومية بشكل وافٍ ! وفضلاً عن ذلك يمكن ان نرى عدد لا يحصى من الاطفال الذين يمتلكون عادات تنفسية سيئة . ولا يتبدل الهواء في الرئتين بشكل صحيح ويبقى شيء من الهواء الفاسد فيهما .

وتكون الايقاعات التنفسية بشكل عام بطيئة جداً وسريعة جداً وغير متكاملة ، وينبغي ان لا ننسى انه عندما نتنفس فان الكثير من العضلات تعمل بشكل غير ارادي وينبغي ان نكون جديرين نظرياً بالسيطرة على عمل هذه العضلات اذا تنبها الى تنفسنا . وهذا بالطبع ضمن إطار التدريب البسيط أو المكثف .

تسمح ممارسة التنفس التدريبي لحالات من الوعي التي يجهلها اغلبية الناس وهي مرحلة نحو اتحاد الفرد .

واذا اخذنا هذا بنظر الاعتبار: الطب الغربي والحكمة الشرقية الكبرى يلتقيان من خلال طرق مختلفة . ولقد درس الطب في بلدنا آثار التنفس الخاص منذ بضع سنوات فقط . وهذا مفرح

جداً للذين يرغبون بالاستفادة من السيطرة المتكاملة على النفس .

يتنفس كل واحد منا بطريقة غير صحيحة . لماذا؟ لاننا نتنفس بدون وعي وكل واحد يعتقد انه يعرف كيف يتنفس لكن الاغلبية يعيشون على تنفس اوتوماتيكي والحال ان التنفس هو علم ومن أحد أهم العلوم وربما علوم الحياة .

ان ايقاع التنفس مهم جداً بحيث انه مرتبط بالحالة الانفعالية . ان السيطرة على التنفس بعد تدريب متبع هواذن على الاغلب أحد أفضل وسائل السيطرة على الانفعالية . وبشكل عام ، تتم ممارسة التقنيات التنفسية في الوقت نفسه الذي تتخذ به بعض الاوضاع .

وتخضع كمية الهواء المتنفس الى ايقاعات خاصة وتغير هذه صفة ومدة الحياة ويمكن ان تكون للطاقة التي نخزنها بواسطة المنخرين مكثفة ومسيطر عليها أو موقوفة وهذا حسب ارادتنا . والمقصود قبل كل شيء هو ان نكون واعين للتنفس . . . ونحاول .

أجلس وكن هادئاً . تنفس ببطء وبعمق ، ويجب ان تجري الحركة بانسجام ومن دون أية مساعدة ، حافظ على الهواء لمدة (٢) أو (٣) ثواني . إطرح من ثم الهواء عن طريق الانف ببطء

وبشكل عميق .

كرر هذه العملية من بعد ذلك عدة مرات وذلك بالتركيز على المسافة التي يقطعها الهواء : المنخرين - الانف - الحلقوم - انبوب التنفس - الرئتين - انبساط التجويف الصدري - اتساع القفص الصدري ثم المسافة المعكوسة خلال الزفير .
والمقصود هنا هو وعي اساسي جداً للتنفس وهذا يعطي على اية حالة جانباً من اهميته .

- ١ -

إجلس بشكل مريح ومن الافضل ان يكون على الارض .
ويكون العمود الفقري والرقبة امتداداً الواحد للآخر . ركز على تنفسك وأطرد كل فكرة اخرى .

استنشق ببطء وبشكل تام واحسب اللحظات مع نفسك .
وابدأ بلحظتين من الاستنشاق - احبس تنفسك لمدة تبلغ اربعة اضعاف = ٨ ثواني . اطرح الهواء حتى النهاية بدون حركة وخلال فترة مضاعفة للاستنشاق = ٤ ثواني .

كرر هذا التمرين مرتين أو ثلاث مرات ، وزد وقت استغراقها .
والايقاع الاكثر شيوعاً يستند الى المدة التي يستغرقها الاستنشاق .
ويحبس الهواء خلال فترة تبلغ اربعة اضعاف ويستغرق الزفير ضعف مدة الشهيق .

الشهيق	حبس الهواء	الزفير
٢ ثانية	٨ ثواني	٤ ثواني
٣ ثواني	١٢ ثانية	٦ ثواني
٤ ثواني	١٦ ثانية	٨ ثواني

وينبغي الحصول دوماً على :

- ١- أقصى حد ممكن من البطء .
- ٢- أقصى حد ممكن من التركيز .

- ٢ -

يحدث الشهيق والزفير عن طريق منخر واحد . إجلس ضع السبابة والوسطى بين الحاجبين ، وسد المنخر الآخر بواسطة الخنصر والابهام . ركّز وبشكل عام يطلب المعلم غلق العينين .
تبنى ايقاع تنفسي ، مثلاً
٣ ثواني للشهيق .
١٢ ثانية لحبس التنفس .
٦ ثواني للزفير .
(افترض ان الوسطى والسبابة موضوعتين ما بين الحاجبين) .

وسد المنخر على جهة اليمين بواسطة الابهام . تنفس ببطء خلال ثلاث ثواني (بواسطة المنخر على جهة اليسار بالطبع) ركز على مسار الهواء وعند ذلك ، اغلق المنخر على جهة اليسار بواسطة الخنصر ، إحبس الهواء خلال اثني عشرة ثانية . اطلق المنخر على جهة اليمين .

إزفر من ثم بواسطة المنخر على اليمين خلال ثمان ثواني .
إبدأ اللعبة من جديد لكن بالمنخر على جهة اليمين وأزفر بواسطة المنخر على جهة اليسار .

ان هذه القواعد الاساسية تعطي عادة بطيئة للتنفس . وتساعد على الانبساط التدريجي للحويصلات الرئوية .

ان الايقاع الذي يستغرق من ٣-١٢-٦ هو الاكثر شيوعاً والاكثر ضعفاً وتكون من جهة اخرى ثلاث ثواني ضرورية من اجل ان يتم كلياً الاستنشاق كما ان حبس الهواء لمدة اثني عشرة ثانية لا يُعد مبالغة .

تزيد من ثم تمارين التنفس ويقال عن التنفس الاعتيادي كالآتي :

الشهيق = ١٦ ثانية

الحبس = ٦٤ ثانية

الزفير = ٣٢ ثانية

... ولا يمكن إداؤها من دون تدريب !

ان للتمرينات التنفسية تأثير منشط استثنائي على الجسم ويتسبب عنها بسرعة تغييرات مهمة . كما ان هذه التمرينات تساعد بشكل كبير على النشاط الذهني لكن يجب ان تخضع هذه التمرينات الى استشارة طبية .

ويوجد ايضاً ممارسات أخرى للتنفس تكون اهدافها خاصة (بدنية أو ذهنية) وهذه الممارسات مرتبطة دوماً بالاوضاع الخاصة .

ان تنفسنا هو اذن اتصال وثيق الى حد ما مع اغلبية وظائفنا الجسمية . ويزود التنفس الجسم بالطاقة والاكسجين الذي يحتاجه . كما ينظم التنفس التوازن المزاجي ويقاوم الاضطرابات العصبية والانفعالية والوظيفية والجسمية . ان التنفس المنتظم يؤثر على النفس ويمنح القوة والتوازن والفرح كما يؤثر التنفس على الدورة الدموية ونبضات القلب والهضم والكليتين والتحويل الغذائي . كما يحدد التنفس المسيطر عليه من التشنجات والارق والهبوط وسرعة التأثير . وينبغي بالطبع اجراء تدريب قاسٍ الى حد ما تحت اشراف كفوء . ويمكننا القول ان الشرقيين قد أحسنوا التصرف عندما اعطوا للتنفس الارادي صفاتاً «خارقة» .

واخيراً تُعلم اليوغا التفهم الكامل وتساعد كثيراً في الحياة اليومية . وبالنسبة الى التنفس فانه يستطيع ان يحول الانسان في بضعة أشهر . ولنعلم ايضاً ان جميع هذه التمارين ومهما كانت

يجب ان تمارس باقصى حد من التركيز من دون روحية في المنافسة كمها ان كافة الاشخاص متعطشون لتحقيق الوعي والخروج عن ميكانيكيتهم والتحرر من اغلالهم وانفعالاتهم السيئة وتساعد اليوغا ايضاً على معرفة النفس وعلى اكتشاف ما هو موجود خارج الانا الصغيرة .

الفصل الثاني

فن الحياة

نشارك جميعاً في الابداع ؛ نحن جميعاً ملوك وشعراء
وموسيقيون ولا ينبغي علينا الا ان نتفتح كازهار اللوتس لنكشف
عن دواخلنا.

هنري ميلر

ها نحن امام المرحلة الاخيرة من الطريق . وستكون نهاية
لكتاب نفسي في حين ان المادة الانسانية لامتناهية . ولهذا
السبب افترض ان تكون هذه النهاية بداية اذا مارس الشخص
(س) اليوغا أو وازبت السيدة (ص) على التحليل النفسي فانهما
يستطيعان تحقيق التوازن والصحة . لكنهما يستطيعان ايضاً رؤية
الامور أبعد من هذا واعتبار علم النفس نقطة انطلاق الى القمم
المجهولة لاغلبية الاشخاص . واتمنى ان يؤدي هذا المؤلف الى
رؤية شمولية لدورنا الانساني . لقد صنعت من علم النفس
«ماكنة» وفككت الدواليب والصمامات والمكابس الانسانية
واتمنى ان اكون قد نجحت في تشخيص الاسباب الشائعة
لفقدان التوازن .

ويبدو (كما يقال . . .) ان الاشخاص يرغبون بالسلام
وبالسعادة وبالتوازن وبالجمال . وسيكون هذا منهاج جميل اذا
فعلنا غالباً بالضبط ما هو عكس الضروري ! لكن اذا تحققنا من

ان ثلاثة ارباع الاشخاص هم متخوفين وعدوانيين وعصبيين
وعُصابيين ومنهكين ندرك انه ينبغي اعادة النظر في بعض
المفاهيم ويمكن ان تطبق الكثير من الافكار من خلال تعود بسيط ،
هل تمنح هذه الافكار السعادة أم لا؟

وايقنت ان عالم النفس لا يصنع الاخلاق . ولا يقول : «هذا
حسن أوسي» ، لكن «هذا طبيعي أو غير طبيعي» . هل ينبغي
ايضاً بسط معنى تعبير غير طبيعي» . اذا كانت امكانياتكم الذهنية
كبيرة ولا تستخدمون إلا جزءاً منها فهذا هو غير طبيعي . واذا كان
لديك امكانيات الوعي بالنفس ، لكنك تبقى الى حد ما غير واعٍ
فهذا غير طبيعي . واذا حييت مندفعاً بشكل اساسي من خلال
«الكبت» والعقد النفسية فهذا غير طبيعي . فضلاً عن ذلك وهذه
خسارة! لان عدم استغلال الامكانيات هو البقاء خارج الدور
الذي أختير لنا على الارض .

يود الاشخاص تغيير الظروف الحالية

من الذي يصنع الظروف الحالية ، هل نساهم فيها جميعاً؟ اذا
كانا متهيجين فاننا نقوم باعمال متهيجة . اذا كنا جامدين ذهنياً
فاننا نفجر اعمالاً جامدة . ومن المؤسف ان نتأكد من ان الكثير من
الاشخاص يعيشون بشكل اتوماتيكي وبشكل غير واعٍ . انهم اذن

لا يعرفون ماذا يفعلون . أو قليلاً جداً! من الذي يستطيع ان يقول آخر النهار: «كنت واعياً لنفسي الى أبعد الحدود لمدة خمسة دقائق؟» وبدلاً من هذا فاننا نعمل ميكانيكياً ونفكر ميكانيكياً . ونعيش على هذه العادات الروتينية .

وهكذا، فان بعض الاشخاص هم موتى احياء كما قلت ذلك من قبل . انهم مهزوزون من قبل اللاوعي ولا يبحثون حتى عن تقصي ال اثر . كم هو عدد الحركات الواعية بالنسبة الى الملايين من الحركات اللاواعية؟ كم هي احاديث البيغاء التي تلقيناها منذ ايام المدرسة ولم نرها ثانية؟ ما هي الاشياء الواعية شخصياً في كل هذا؟

ان تغيير الظروف يعني اننا ينبغي ان نغير انفسنا . وكل ما نفعله هو مهم جداً وكل فعل من افعالنا يُسجل فينا وفي الآخرين . لتتصور اننا نستطيع تحمل مسؤولية معينة بجهلنا ما نفعله؟ وبتجاهلنا ما يدفعنا الى التصرف؟

ان يصبح الشخص واعياً فهذه مثالية . لكن الوعي هو كالارادة* : إذ انه يتطلب تنظيف داخلي وتدريب . اذا كان الوعي شيء متكامل فانه يتطلب ظروف متكاملة . ويتطلب قبل كل شيء

* انظر الى فصل «الارادة» في الفهرست .

التوازن والتلاحم . ان الشخص غير المتلاحم داخلياً هو شخص خاضع لخطر: يصبح كالماكنة . اذا كان الانسان ماكنة فلا يمكن ان نتظر منه إلا اعمال ماكنة حتى اذا اهتم بالعلم وبالشعر او الموسيقى . ويمكن ان لا يكون الانسان ماكنة ولهذا ينبغي ان يعرف نفسه . انه عمل طويل الى حد ما لكنه اكتشاف رائع .

ينبغي ان نفهم الظروف لكي نغيرها . لكن يعتقد الكثير «فهم الاشياء» في حين انهم لا يرونها الا من خلال أنا مشوهة . اذا توجب علينا فهم السلسلة التالية :

أب - ج - د - هـ - و ، يمكن ان نفهم من أ الى ج ومن أ الى د الخ ويمكن ايضا ان نفهم الترابط بين أ الى هـ لكن دون ان نجري المقارنة بين هـ وحينذاك هناك الكثير ممن يعتقد «انهم فهموا جزءاً كبيراً» في الواقع انهم لم يفهموا شيئاً ابداً لانه ينبغي فهم هـ والبقية يسمح بالوصول اليه .

وهناك الكثير ممن يملكون افكاراً مزيفة أو مشوهة وتستند هذه المفاهيم بالطبع الى «انا هم» . واقول ان (انا) المشوهة لا يمكن ان تفهم الا بطريقة مشوهة وهذا واضح . بينما تتمسك الانا الواضحة من دون عُقد بالاشياء بطريقة واضحة وبمبسطة وهذا واضح ايضاً .

يتوجب علينا ان نتحرر من مفاهيمنا المزيفة لكي نفهم . وإلا فاننا نبني معارف جديدة على أسس مزيفة . تغيير الظروف؟ كل شيء يتم وكل شيء يعتمد على كل شيء . إذ اننا في البداية ، وتنجز الاشياء دوماً حسب ما نحن عليه .

تنقية الطبع

في البداية ، ما هو الطبع؟ انها الطريقة التي نجيب فيها على الظروف . ويعني طبعنا سلوكنا في العلاقات الاجتماعية واستعداداتنا العاطفية وامزجتنا الغالبة ويستند الطبع الى مزاجنا وجهازنا العصبي واستعدادنا الذهني .

إلا ان الكثير من الاشخاص يتذمرون : «عندي طبع خاص ولا استطيع ان افعل شيئاً» . انني عصبي . انني حقود . انني مندفع وانني هذا وذاك ثم لا يغيرون طبعهم! .

لكن هذا الشخص يأمر طفله ان يغير سلوكه اذا كان ذا سلوك سيء أولاً يروق له .

يأمر طفله باننا لا نغير طبعنا هو اقرار بالجمود . انه تصريح بالفشل . كما ان اغلبية الذين يصرحون به هم ضعفاء أو عدوانيين (وهذا يعود الى الشيء عينه) . لقد بنى هؤلاء واجهة للحماية

تمنع مشاكل الحياة من لمسها . ويخاف هؤلاء الظروف الجديدة والتي لا يتحملها ضعفهم . ولا يكون تحت امرتهم إلا موقف واحد متصلب وثابت .

ان اغلب المخاوف والصراعات الداخلية تسبب توقف في التطور الانساني . ويلتقي عالم النفس غالباً اشخاصاً قد يستطيعون التطور مع وضوح رائع ، لكنهم يتوقفون في مكان ما . . . اذن انهم اشخاصاً مشلولون يتجاوزون الوجود من دون اي تغيير في الطبع لانهم جامدين ! لكن ألا تعتقدون ان قيمة الانسان هي اكبر من هذا؟ إذ يمتلك هذا الانسان امكانيات كبيرة من الوضوح والحكم والطاقة والعمل . اذا بقي محصور ذهنياً ، كيف نريد ان يصل ال اي شيء انساني حقيقي؟

وعلى النقيض من هذا فان الشخص المتوازن والمنسجم يكون يقظاً دوماً ويعطي الحوايا الذي يفرض نفسه على كل تساؤل تطرحه الحياة ، ويتقدم دائماً ويتطور بمزامنة متكاملة مع الظروف .

ان هذا الرجل ارسقراطي الحياة ، يبقى واضحاً وواعياً للاحداث . انه سيد نفسه ويغرق في مهاو عديدة وهذا يحدث من تلقاء نفسه لكنه يستدرك بسرعة من دون ان تتأثر انفعاليته باي شيء كان .

ينبغي القول دوماً «لا» للخمول مهما كان، فالمقصود هنا هو اسماع انفسنا! هذا، رجل يصارع مهمة ويلجأ الى كافة الوسائل ويعمل ويأمر ويتحرك باستمرار. وفي الفحص نتأكد من انه اندفاعي أو عدواني هل هذا الرجل هو فعال ذهنياً علي الرغم من كافة النشاطات الجسمية؟ ابداً. انه خامل. انه لا يفعل شيئاً عن وعي بل ان اندفاعاته أو عدوانيته هي التي تتحرك بداخله ويحدث الكثير من الضجة كنتيجة

ان كل انحراف داخلي أو عقدة نفسية أو كبت هي اسباب حصر أو خمول. ان الشخص المحصور نفسياً أو الذي يمتلك «طبعاً سيئاً» لا يقبل بهذا الطبع السيء عند الطفل. وأقرباني لا أفهم اذا كان الرجل غير قادر على وضع كل شيء موضع التنفيذ ليعرف نفسه وليصلحها، فهل ينبغي ان يطلب هذا من شخص أضعف منه؟ وكذلك نستطيع هنا ان نتساءل من هو الاضعف. الرجل أم الطفل؟

التحرر من النفس

من الطبيعي ان نقول ان «العصبي» يفكر ويتصرف بشكل مختلف عن الشخص الهادئ. او ان «الابله» يتكلم بطريقة

مختلفة عن «العدواني» ومع ذلك تخفي هذه المظاهر الاعتيادية حقيقة مهمة.

ينبغي على كل شخص ان يطرح السؤال عشر رات يومياً: في أية حالة نفسية اتمتع الآن؟ وتجب مثلاً: انني متعب، إذن لا استطيع ان أنجز اعمال شخص مُتعب». أو بالاحرى «انني عصبي وقلق! إذن لا استطيع ان افكر إلا من خلال الحالة العصبية والقلق». انه المنطق عينه، أليس كذلك؟ اذا كانت حالتنا عاجزة وراكدة أو مخنوقة، هل نحن جديرون بانجاز دورنا على وجه اكمل؟ هل نحن جديرون باداة وبيوعي حقيقيين؟ بالطبع لا، بما ان هذه الصفات العالية تتطلب الانسجام في شخصيتنا.

أو يجيب بالاحرى هذا الرجل ايضاً: «لديَّ عُقد نفسية» (حتى اذا كان جديراً برؤيتها بنفسه). إذن انه يتصرف ويفكر من خلال هذه العقدة. كما يوجد بداخله موشوراً داخلياً يشوه رؤيته للاشياء، انه محطم ومهشم ومجزأ الى عدة اجزاء. ويتحرك مرة جزء ومرة جزء آخر. انه لا يتصرف ابداً ككل أو يحرية لكنه مأمور باستمرار من قبل قواه الداخلية التي يجهل قوتها وغالباً ما يجهل الاشخاص وجودها!

ويعتقد تقريباً جميع الاشخاص انهم يستطيعون عمل شيء ما. ويعتقدون انهم يفعلون هذا «بارادة وبحرية» وبالمقابل فان «جعله ارادياً» يعني ان يكون متحرراً من نفسه ومن مواشيره الداخلية ان الارادة هي تناغم مقتدر وليس بتجزئة أو تشنج . ليس هناك اية حرية ما دامت هناك مخاوف داخلية . ومن المؤكد ان المكبوت جنسياً (مثلاً) لن يكون حر داخلياً طالما ان كبته لا يزال موجوداً . وفضلاً عن ذلك فانه ينقل كبته الى ذريته . . . وتبقى هذه حكاية ازلية للتربية السيئة .

يعتقد الشخص انه فعل هذا . لكن طالما خضع الى هذا العجز أو القصور الداخلي والى عادات ضارة والى عادات مستهجنة ذهنية ، الخ ، فانه لا يفعل شيئاً . ويحصل هذا رغماً عنه ومن دون ان يعرف لماذا وكيف . ولا يوجد شيء في داخله يجبره على التصرف وعلى التفكير . وحينذاك يكون غير واع بنفسه ابداً . واذا لم يكن واعياً فانه ينام . لكن بما انه ينام فانه يجهل انه نائم .

ونتصرف جميعنا من خلال حالتنا الجسمية والذهنية . واذا كانت حالتنا جيدة فستكون افعالنا جيدة واذا كانت حالتنا مقتدرة فتكون اعمالنا مقتدرة ايضاً .

وإذا رغبتنا في تغيير أفعالنا وحياتنا فينبغي علينا ان نغير حالتنا
الجسمية والذهنية وذلك بتنقيتها وبنائها مرة اخرى .

الشخصيات المركبة

نقول جميعاً أنا . أنا أفعل هكذا وافكر كذا ، الخ . ونصرح
ببرود أقرر وأختار وأريد واتردد وأنا خجول ، وعندما يتصرف رجل
من خلال اندفاعات كبيرة لاواعية . ويقول ايضاً أريد! فماذا يعني
هذا؟ انه لا يعرف ما يقول .

هذا رجل عدواني . يقول مثلاً : انا لا اترك نفسي لهذا ، انا!
لماذا يمتلك باستمرار هذا التهديد على لسانه؟ لانه يشعر بانه
مُهاجم . لماذا يتصور نفسه انه مُهاجم؟ لانه خائف .
ينبغي عليه ان يقول اذن : «لا يوجد شيء ما في داخلي يدفعني
لان اكون عدوانياً ، هذا الشيء «هوخوفي» .

ينبغي ان نقول

يوجد شيء ما
بداخلي يدفعني لان
اكون خجولاً .

بدلاً من نقول

- انا خجول

ينبغي أن نقول	بدلاً ما نقول
يوجد شيء ما بداخلي يدفعني لأن اكون حزيناً	- انا حزين
يوجد شيء ما بداخلي يرغمني على التردد.	- انا متردد
يوجد شيء ما بداخلي يرغمني على التردد والشك.	- أقرر واشكك

ولأنه يبقى هكذا طوال حياته. فتفتح ادراج وتنغلق في شخصية واحدة وفي تسعين بالمائة من الحالات لا يمكن ان نفعل شيئاً. لكن نقول انا ايضاً: لأنها أصبحت شيء معتاد ولأن هذه العملية تتطلب أقل جهداً من البحث عن معرفة النفس.

والمرء مركب بشكل عام اذن من سلسلة من الادراج الذهنية، وعند الشخص الواحد هناك درج للضعف وآخر للخوف وآخر للكبت بانواعه وللانفعالات والعدوانية، الخ . وفي شخصية واحدة هناك شخصيات متعددة!

واذا افترضنا ان هناك شخصيتين عند المرء، الا يفوز هذا الشخص بتوحيدهما؟ نعم . أليس كذلك؟ والحال ان الكثير من الناس يمتلكون ليس فقط شخصيتين مختلفتين لكن عشرات الشخصيات . وهنا ايضاً يكون توحيد الشخصية ضرورياً . لانه غالباً ما يعمل كل درج لحسابه عند المرء وكل واحد مقتنع من انه على حق .

ان ما يفعله المرء هو الخير وان ما يقوله هو الحق . وينزع الى تغيير رأيه بعد عشر دقائق بسبب انفتاح «درج» آخر . ويقول حينذاك : لقد غيرت رأيي ، ويكون المرء هكذا غارقاً في كُدس من التناقضات الداخلية ويتساءل بسذاجة عن ما حصل له ، والكثير من الاشخاص يمضون حياتهم هكذا .

أن يقول الشخص أنا، لا ينبغي ان تصبح عادة مستهجنة بل احساس بالتصرف بكامل كيانه . وهذا يتطلب الوعي بالنفس والوضوح والارادة الحقيقية . ولهذا السبب فان كل عمل نفسي هو البحث عن هذه الارستقراطية الانسانية .

المرء والحياة

تتقدم الحياة ويدور تطورها ببطء كالدولاب الذي يعكر الماء، وعلى الانسان ان يكون قادراً (من خلال توازنه) على تجاوز ظرف غير ملائم. وبالنسبة الى الظرف الملائم فانه مطلوب منه ان يكون مستخدماً. لكن الاستخدام الجيد أو السيء يستند الى وضوحنا! غالباً ما يبقى الاشخاص غير القادرين على استخدام ظرف هم «المحبوسين» ذهنياً. انهم الذين يمتلكون انحرافات داخلية. ان الحياة لا هي بعادلة ولا هي بغير عادلة وهي ليست بالحسنة ولا بالعمياء. انها صفات انسانية. ان الحياة هي الحياة: لماذا نريد ان تكون جيدة أو عمياء.

ان الحياة منطقية. وهي تجري كالرافد الذي لا يتأثر حاملاً قوارب الاشخاص. والمهم هو معرفة فيما اذا كان قاربنا لا يسمح بدخول الماء انها مهمة التربويين والاطباء النفسانيين.

يبدو تطور الحياة من دون رحمة إزاء المكتئبين والضعفاء والمرضى وغالباً وبدلاً من محاولة اختراق هذا الضباب فانهم يتوقفون طويلاً عند فشلهم. ويبدأون من جديد بنفس العملية دون تساؤل لماذا فشلوا وما هي الوسائل المستخدمة لتجنب فشل جديد. ويبدأون من جديد بنفس العملية دون تساؤل لماذا فشلوا وما هي الوسائل المستخدمة لتجنب فشل جديد. ويبدأون

الصراع من جديد بنفس العملية وهذا عبث ، ويفشلون مرة أخرى بالطبع ويصرون دوماً علي استخدام الوسائل عينها دون البحث فيما اذا كان هذا العمل يناسبهم أو فيما اذا نظروا اليه من الزاوية الصحيحة أو اذا لم تكن اسلحتهم صدأة .

محاولة جديدة وفشل جديد . وتحرك الماكنة البشرية وتندفع الى الامام وترتعب . ويغرق المرء اكثر فاكثرو يتصور انه يشعر تجاهها بانها سوء حظ لا اكثر دون تساؤل فيما اذا كان هذا الفشل المستمر يعود الي حصر ذاتي .

وكما قلت آنفاً فان المرء يرى الظروف من خلال حالته مثل جهاز الراديو الذي لا يلتقط الا الموجات التي وُصل اليها . وينبغي اذن علي المرء ان يصلح المصابيح المعطوبة ويشترى لنفسه مكثفة جديدة .

ولا يجدي شيئاً الصراخ في وجه الحياة لكن ينبغي الاستخدام الافضل لكل شيء . ليس للحياة عينين تنظر بهما ولا اذنين تسمع بهما ولكن اذا كان المرء غير متبصر للامور بسبب انكماش في وضوح فكره فانه يلجأ وبسرعة الى الظروف ويفشل .

ان القاء اللعنة على الحياة لا يجدي شيئاً . ومن اجل أن أصارع ينبغي علي ان اري المنافس ، وإلا فأنني مهزوم مقدماً . اذا كنت قوياً ومتوازناً يصبح التكيف الى الظروف كلعبة الطفل

وهذا ما ندعوه بالنجاح الداخلي . وكذلك ففي الفشل سيكون امامي خصماً مرئياً ومعروفاً واصبح من خلال هذا الخصم أكثر قوة ومن ثم أتأكد من انه غالباً ما يكون هذا الخصم نفسي .

وهذا ما ندعوه بالنجاح الداخلي . وكذلك ففي الفشل سيكون امامي خصماً مرئياً ومعروفاً واصبح من خلال هذا الخصم أكثر قوة ومن ثم أتأكد من انه غالباً ما يكون هذا الخصم نفسي .

علم النفس ، اشراق وانسانية

ان الوضع البشري هو حالة متتخبة . واذا كنت تعتقد انك ليس منها اي من هذه الصفوة فذلك يعني انك لم تبحث عنها . أو انك بحثت عنها بشكل سيء .

تكون الاشياء الكبيرة بسيطة دوماً وفضلاً عن ذلك ، ينبغي ان تكون الاشياء الكبيرة سهلة المنال بالنسبة للجميع . وإلا فانها ليست بالاشياء الكبيرة ولا يجادها يكفي ان ننطلق من البداية وان نتفاهم .

ان حركة الكواكب سهلة . جان ساستيان باخ سهل . الحياة سهلة . يكفي النظر الي جميع الاشياء في حلقة واضحة . ولا يوجد شيء معقد إلا ما هو غير موجود في النظام وفي الأيقاع الكوني . ان الاشخاص المعقدين هم اشخاص غير موجودين ضمن النظام لان الفوضى الداخلية تعيقهم عن الرؤيا وعن

المشاركة. كما ان الانحرافات الداخلية ليست ضمن النظام وكذلك الحال بالنسبة الى التشنج والى العدوانية.

ان الاشياء الكبيرة بسيطة دوماً. كما ان التبسط الداخلي يصنع عظمة الانسان. واذا طلب مني: «باسم اي شيء أتوج هذه العظمة الانسانية والتوازن والطاقة الحقيقية؟». اجيب: «باسم النظام وبالنتيجة الخير».

يلجأ العديد من الاشخاص لسماع حكايات المغامرات في السينما أو في الاماكن الاخرى. ويستعجلون ويقاومون. لكنهم نادراً ما يدرسون الشخص الذي يقوم بهذه المغامرة ولا يبحثون عن سبب هذه المغامرة. وهكذا فانهم لا يرون إلا الجانب الخارجي ويبقى كل شيء جبراً على ورق.

ومن الافضل ان نضيف شيئاً يوماً ما ثم شيئاً آخر في يوم آخر. ومن الافضل ان نستطيع قول «اليوم، اضفت هذا الشيء الى نفسي، تخلصت من هذا الشيء، اليوم، تغيرت» لان الانسان يصبح هكذا حزمة متناغمة في صعود نحو البساطة.

اذا تخلص الناس من مكابحهم الداخلية ومن رواسبهم ومخاوفهم وانطوائهم على انفسهم فانهم سيتغيرون. واذا بدأ الناس بالتغير، فان كل شيء يتغير! ان الحل بسيط! ولهذا فان تطبيقه صعب، لانه ينبغي على المرء ان يرى مشاكله ليتغير.

ويبقى الكثير من الاشخاص على ما هم عليه حتى بعد عشر سنوات ويقرن هكذا ولا يضاف شيئاً أو يحذف بالنسبة لهم . ولا يخرج عن الخمول الا اشياء خاملة كما لا يخرج عن اللاوعي إلا افعالاً لا واعية .

ويُقال ان السعادة هي ان يكون المرء في مكانه . وهذا صحيح . لكن هل تساءلنا فيما اذا نحن في مكاننا بدورنا كبشر، كما ينبغي ان نفكر ونربي الآخرين ونتصرف مع من حولنا . ويقال ايضاً ان الفن في ان يكون الانسان ضائعاً، لماذا نتمنى ان نكون هكذا؟

ان الامكانيات الانسانية موجودة الى وقتنا الحالي كما كانت عليه منذ عشرات الملايين من السنين . ويمتلك الانسان مفاتيح الآلة عينها لكن كم من المرات علمناه كيف يجيد العزف عليها . لا يتمكن كل الناس ان يصبحوا علماء «قال لي هذا شخص ما . ايه ! . . . من يتحدث ليكون عالماً؟ ولماذا يصبح عالماً؟ اذا علمنا انفسنا لكي نصبح متخصصين في مجال واحد فقط فنحن نساهم في شقاء وفي اثاره الشقاء في العالم . لا يكفي ان يكون الانسان رجل علم فحسب .

ان الذكاء الواضح دون حكم سابق ينسبط الى جميع الاتجاهات وله وحده الأهمية .

ان التعليم بحد ذاته ليست له أهمية . وتبقى التربية جافة من دون قيمة ما دامت التربية لا تعلم تركيب الحياة . هل يعيق التعليم من ان يكون الانسان ممزقاً مليئاً بالتناقضات وبالمخاوف؟ وبدلاً من تشجيع الخلافات بين الافراد يجب ان تؤثر التربية النقاط المشتركة . وإلا تستمر الحياة لكي تكون سلسلة من الصراعات ومن الآلام .

لا ينبغي على الانسان ان يبحث عن التعليم بل عن الكمال ويتوجب عليه ان يعرف الامكانيات ويحققها في تناغم مع شخصيته .

ونحن نفهم من خلال دماغنا وحواسنا المواشير الموجودة بداخلنا . وأول شيء ينبغي عمله امام ظرف معين هو ان نتساءل فيما اذا قد نظرنا اليه بشكل جيد . هل رأيناه بالكامل؟ هل سنراه غداً كما نراه اليوم؟ لان الكثير من الاشخاص يحكمون ويصدرون احكامهم على الآخرين وعلى الاخلاق وعلى الدين وعلى اللوحة الاخيرة التي عرضت في معرض الرسم ، وبدأون حينذاك بالمناقشة والتي تدور غالباً في عدم فهم اتوماتيكي . لماذا؟ لانهم ذاتيون ، ويرون الاشياء من خلال «أنا» مثقلة بخردوات عديمة الفائدة . وهم مقتنعون مع ذلك بانهم رصدوا

الظرف بأصح طريقة موجودة.

ان بلوغ الموضوعية هو احد الاهداف النبيلة جداً. وبدون موضوعية «نعتقد» اننا نفهم حينذاك فاننا لا نعمل الا على رؤية الامور من خلال «أنا» متحجرة. ولا يمكن أن تتحقق الموضوعية الا من خلال التحرر من النفس ومن مشاكلها اللاواعية الناجمة عن انفجار المواشير الداخلية التي تخضع لها كافة الافكار.

وفي الموضوعية الواضحة يتوصل المرء الى الاشراف ويكون حينذاك قوة هادئة معطاء. ولا يتواجد الاشراف ابداً في الخوف ولا في الضعف. لكنه يحدث في اليسر الذهني حيث لا يحتاج الانسان الى الهروب من مشاكله. وان يصبح الانسان واعياً فهذا يعني انه لا يمتلك اي قدرة على التدمير.

لا ينبغي الاعجاب بما هو كبير لدى البعض. ان هذه العظمة ليست سوى نتيجة لامكانيات متحررة. وعلينا ان نرثي الى ما يفتقر اليه الآخرون بالمقارنة بما يمكن ان يكونوا عليه.

وهكذا يستطيع المرء من خلال علم النفس ان يعزز موقعه ضمن سلالة الانسانيين الفعالين ويصبح توازنه واسطة انطلاق ويختفي قلقه بفضل الفرح الذي استعاده. ويصعد انداك الى هضبة عالية وهو مسلح بمقدرة وبوضوح متسامح وكريم، ويصبح لطيفاً ويتجه نحو الآخرين. ولا يتولد كرمه وحلمه عن حاجة داخلية بل

عن قوة هادئة كما انه يمتلك التفهم والادراك نتيجة لتوقف
الصراعات كافة في ذهنه . . . وتأتي لطافته عن قوة كبيرة وليس
بسبب الضعف .
. . أتمنى لكم حظاً سعيداً وإلى اللقاء .

الفهرست

	الفصل الاول .
٣	الأرادة
٦	كيف نتصور الارادة؟
	متى نتصرف بشكل إرادي
٧	أو غير إرادي؟
١٨	هل تفترض الارادة جهداً أو انقباضاً أو توتراً
٢١	متى يمتلك هذا الكتاب الارادة الحقيقية
٢٣	ما هي شروط الارادة الكاملة؟
٢٤	بماذا تجعلك تفكر كلمة « الارادة »
٢٦	ظروف الارادة
٢٧	النزق المبالغ فيه
٢٩	الافراط في الكبت

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

علم القرن العشرين

كثيراً ما يطلق على علم النفس انه علم القرن العشرين وربما كان هذا صحيحاً لأن التقدم في المعارف السيكولوجية خلال الخمسين سنة الأخيرة كان اكبر منه خلال مجموعة من القرون الماضية .

لقد كانت بحوث علم النفس في القديم تقتصر على محاولة فهم العقل الانساني وتحليله الى عناصره دون اهتمام بتطبيق كشوفة في نواحي الحياة ..

اما اليوم فقد دخل المدرسة والمستشفى وقاعة المحاكم والمصنع والمتجر وكل حقول الحياة من اجل مساعدة الناس على التوافق مع كل شيء جديد في حياتهم لقد كان حقاً علم القرن العشرين .

مطبعة منير ٤١٦٢١٧٥

الناشر

السعر ١,٢٥٠ دينار

دارالنربية

الطباعة والنشر والتوزيع